

روايات همزة الحبيب

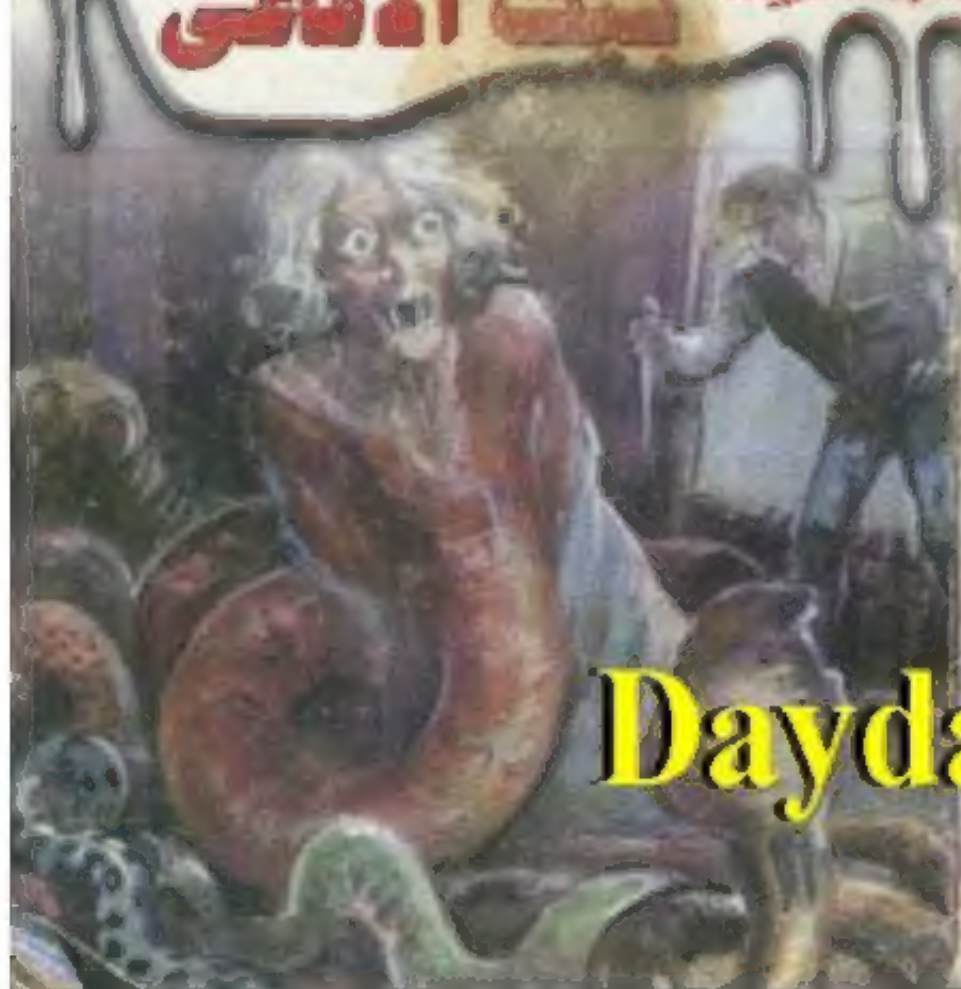


أسطورة

45

أسطورة
الافاعي

ماوراء الطبيعة



ماوراء الطبيعة

روايات همزة الحبيب
من تأليف الدكتور محمد بن عبد الله

روايات همزة الحبيب

أسطورة بيت الافاعي

هذه مجرد قصة ممتعة أخرى ..
قصصة عن الشفق التي تمثل
بالافاعي ، والبشر الذين يتحولون إلى
تعايين ، وينسلخون من جلودهم ليلاً ..
ويخرج الدم من عيونهم .. قصصة عن
الحصار وعن تعايين البوا القائمة أمام
باب عرفك .. إنها مجرد قصة أخرى
عن الخوف حين يطبق قبضته
على كل الحيوان ..



د. أحمد خالد التولي

Daydamony

العدد القادم :

أسطورة طفل البحر

المجلة العربية الحديثة

في مصر
الطبعة الأولى
في مصر
في مصر

مقدمة

كلا لا تخافوا ..

لن أبدأ كلامي بذات المقدمة المعتلة التي أقول فيها إنني الدكتور (رفعت إسماعيل) أستاذ الدم المتقاعد بكلية طب كذا ، والذي قضى حياته صلفاً للأشباح ، وفتح عشرات من ثوابيت مصاصي الدماء ، ومشى في عشرات البيوت المسكونة ، والتحم مع عشرات الممox ، واجتاز عشرات فتجارب النفسية المبهمة ، وعبر إلى عشرات العوالم المولوية ليس جانب النجوم بأهونها ، والذي لم يتزوج قط . لأن من عاش حياته يستحيل أن يتزوج ..

كلا .. لا تخافوا .. لن أقول هذه العبارات التي كررتها مراراً حتى إنني لم أعد أعنى معناها جيداً .. سأبدأ مباشرة بـون مقدمات ..

١ - بيئة غير صديقة ..

« عسى أن يقبض القعوان على القعوان ، عندما يجد فرس النهر الصغير نفسه مفروسا في الأرض الطينية .. أيتها الأرض .. ابتلى ثأية ما خرج منك ! »

تعويدة مصرية قديمة لاتقاء خطر أفعى (سيبا)

مرحباً .. إن لسمى (محمود شوقي) ولا توقع بالتأكد أن يشير هذا الاسم رعبكم ، أو يجعلكم ترتجفون هيبة وتوقيراً ، أو تفركون أكمكم في شغف .. أنا مجرد شخص ما ، له كل مزايا وعيوب الآخرين ، لكنى مضطر لتقديم نفسى إن كان لى أن أحدى الأحداث الرهيبة أو .. على أفضل الظروف - غير السارة التى مرت بى فى ذلك المنزل .. فليس أسوأ من قصة لا نعرف سرها إلا قصة لا نعرف بطلها كما نطمون ..

فى من السابعة عشرة جنت إلى القاهرة لألعب الدور المعتاد : الطلق القروى الفقير الذى لا يهيمه اختفاء (تنزانيا) من الخارطة قدر ما يهيمه اختفاء القروش من جيبه ، وكنت - كما هى العادة - أحمل رأساً مفعماً بالأحلام التى تتلخص فى أنسى يوماً ما - بعد خمس سنوات غائباً - سأكون رئيس العالم ، أو المقرر العام لكوكب الأرض ، أو ملك (كولومبيا) لو تنقلت وقبنت المنصب .. وكما هى العادة أيضاً : كان فى جيبى ثقبان لكن لم يسقط منهما ملجم أحمر واحد .. لأنه كان خلوياً تقريباً ..

ولتنى أهل النصيح الذين هم - بالمصافحة - أهل الحبل والعقد على منزل رخيص يناسب ميزانيتى .. إنه مكان نظيف ، وعدد البراغيث والبق به معقول نوعاً ، ثم يتجاوز الحد الذى يحيله من منزل إلى وكر .. وأنا ريفى فقير لكنى من بيئة نظيفة لا تعبر الهوام من معالم حياتها ..

هذه هي البداية كما تعلمون .. والباقي سهل
التخيل إلى حد ما ..

في أحد أحياء المطرية يقع المنزل الذي أعيش
فيه الآن .. إن الوصول إليه سهل تمامًا .. كلا ..
ليس الوصفة التي تعرفها لأنها ستجعلك تضل الطريق
تمامًا .. أنا أقول لك وصفة أسهل بكثير .. انتظر ..
هل تعرف (زيزو) ؟ محل بيع الشطائر إياه ..
أمامه ورشة لدوكو السيارات .. فقط خذ أول
تقاطع على يسار الورشة ، وحاول ألا تقع في
تلك المجرور القديم .. حسن .. إن أول حارة
لا تهمنا وحاول ألا تتوغل فيها ، لأن بها بلطجية
سيسرهم بالتأكيد ضرب شاب مرفه مثلك ..
الحارة الثانية هي المطلوبة .. فقط سل إحدى
النساء الجالسات للأبد ينقين الأرز على عتبات
ديارهن - أنت تعرف أن هناك الكثير من الأرز
دائمًا - عن بيت الخالة (رئيسة) .. كلا ..

لا تسأل .. هن سيسألك من تريد وسيرمقك في
فضول ، ولربما رأيت أحد فتوات الحارة يرمقك
في كراهية من وراء قضبان نافذة غرفته بالطابق
الأرضي .. إنه يحافظ على حدود منطقتة كما
يفعل أي وحش يحترم نفسه في الأدغال .. لذا
عامله كما تعامل الوحوش وتجنب أن تثبت عينيك
في عينيه .. إن تثبيت العينين بالنسبة لوحوش
الغابة علامة عدائية لاشك فيها ، ومن الوارد أن
يهاجمك في أية لحظة عندئذ ..

الآن أنت تقف أمام المنزل الذي أقيم فيه ..

توجد هنا خمس شقق .. وبالطبع يسكن أربعة
من الطلبة في شقة منها ، بينما أقيم أنا في شقة
قبلية وحدي .. لماذا ؟ أنا لا أكره البشر ولست
مصنابًا بالجذام على قدر علمي ، لكن مجموعة
الطلبة جميعًا من قرية واحدة ، ويدرسون ذات
العلوم في معهد من تلك المعاهد التي لا تعرف

كيف تتذكر اسمها . ولا تعرف مستقبل طلابها
أبداً .. ربما (معهد المحليات التعاونية) أو
(معهد التعاونيات المحلية) أو أى شيء من هذا
القبيل .. وكنت أنا أدرس علم الحيوان فى كلية
العلوم . ثم إنهم جميعاً جاءوا ها هنا قبلى بأشهر
عديدة وربما أعوام .. وكنت سمجاً قليل الكلام
معدوم الدعاية بطيئاً فى ردود الأفعال ، مما
جعلنى جديراً بهذا السجن الانفرادى . ولم أجد فى
كليتى أو قريتى قط من يشاركنى هذا المسكن ..

كانت علاقتنا من طراز (مساء الخير - مساء
النور) أو ما يسميه الأجانب به (معرفة هز
الرأس) .. ولو كنت واحداً غيرى لعرفت كيف
أهشم الجليد وكيف أدخل حجرتهم مفتحة فارضاً
نفسى ، لكنى كنت بسبب خجلنى أفضل الموت وحيداً
فى غرفتى على شيء كهذا ، ولم أكن أميل لهم
بشكل خاص ، لكنى كنت أسمع من غرفهم ليلاً

تلك الضحكات التى توحى بأنهم يلعبون الورق
أو الطاولة ، أو أشم روائح الطهور العذبة ، فكان
الحنين يغمرنى لرفقة أترابى وممارسة مرح
الشباب الذى أنا جدير به ..

هذا عن الشقتين الأوليين .. فماذا عن بقية
الشقى ؟

فى الشقة التى تقع على يمينك فى الطابق
الأرضى - نفس الطابق الذى أعيش فيه - تعيش
صاحبة البيت العجوز (رتيبة) ، وهى شمطاء
متشككة تعرف جيداً أنها حادثة ينتظر أن يقع ..
يوماً ما سيجدونها مقتولة وقد سرقت مذكراتها ،
وتتحصر الشبهات فى شخصى طبعاً لأن الظروف
كلها ملائمة ، ولأننى فقير وحيد غامض أسكن أمام
شقتها .. أنا أعرف هذا والعجوز تعرف هذا ..
لهذا تقابلنى بنظرة كراهية كلما للتقينا كأنها تقول
لى : لماذا ستقتلنى أبها الوغد ؟ تباً لك ! أنا لم

أفعل لك شيئاً ؟! ، وأقول أنا بعينى : تبأ لك !
لماذا أعدم بسببك وأنا لم أؤذك ؟!

تعيش هذه العجوز فى بيئة جديرة بالفئران ،
وتقضى وقتها فى عد المال واختلاس النظرات
للشارع فى كراهية ، وبالطبع لا يأتى أحد لتنظيف
دارها ؛ لأن (كل هذه القصص المخيفة تبدأ هكذا) ..
لا شأن لى بها على كل حال ما دامت لا تتسوى أن
تموت بطريقة مريية وتخرّب بيتى ..

الشقة الثانية - فى الطابق العلوى - يعيش بها
موظف فقير له أسرة صغيرة ، ربما لا يستحق الذكر
منها سوى (هيام) ، وهى طالبة فى كلية
للتجارة تملك كل الصفات التى تجعلنى أفكر جدياً :
لماذا لا يتزوج المرء حين يريد أن يتزوج ؟ لا بد
من سنوات وسنوات قبل أن أجد على طرق باب
أى بيت نون أن أتهم بالجنون وأطرد .. إن (هيام)
رقيقة لطيفة متفهمة ، وعيناها من طراز العيون

التي تقول : سأمنح حبى لك لو كفتت عن لعب دور
الرعييد وقابلت أبى .. لا تقلق .. فأنا أراك جميلاً ..
لا تقلق .. فأنا أراك لطيفاً ..

هذا النمط من الفتيات لا يستطيع الرجل أن يقاوم
سحرهن ، لكنه لا يفكر فيهن إلا ليتزوجهن .. إنهن
يرغمنه إرغاماً على أن يحلم بالبيت والأطفال ..

الشقة الثالثة - على سطح البناية - هى فى
الواقع غرفة بانسة ، يعيش بها رجل وحيد مثلى
اسمه (حسام) ، حديث المجيء هنا مثلى ، صموت
مثلى .. يقولون إنه محاسب ويقولون إنه مخبول ،
ويقولون إنه يمارس بعض الأنشطة التى أشعر
لمجرد الحديث عنها .. وإلا لماذا يحمل دوماً كل
هذه الكتب الصفراء التى تعرفها والتى تتحدث
عن السحر القديم والاتصال بالجان ؟ عرفت هذا
بالطبع من .. من (هيام) طبعا .. فهى الشخص
الوحيد الذى يمكن الكلام معه فى هذا المنزل ..

لم تكن حياتي رائعة لكنها محتملة . وما كان
لينقصها ما حدث ..

متى شعرت بأن شيئاً ما ليس على ما يرام ؟
كان ذلك في يوم جمعة وهو يوم له رونقه
الخاص كما تعلمون .. الاستيقاظ في ساعة متأخرة ..
الاغتسال .. حلاقة الذقن التي بدأت تخشوشن ..
إشعال عود من البخور النبيالي والاستعداد لصلاة
الجمعة ، وبعدها يبدأ الطهو .. أول وجبة حقيقية
من أرز وخضر ولحم هذا الأسبوع ، وهي نعمة
يمتد قُرُها ليوم السبت ، ثم نعود إلى شطائر الفول
والطعمية من (زيزو) ، وغلب المسلمون مع البصل
على سبيل البذخ .. هل قرأت الجزء الثاني من
(الأيام) - (طه حسين) ؟ حسن .. أنت تعرف
ما تكلم عنه ..

مددت يدي - لتي تعرف طريقها - في الصوان

بحثاً عن جورب يصلح لارتدائه .. وهو بحث
لا يطول لأن لدى جوربين أحدهما مبطل دائماً
بالنظار أن يجف ، والآخر في قدمي أو في
الصوان ..

ولكن ..

غريب ملمس هذا الجورب حقاً ! إنه ناعم لملمس
زلق .. ربما ينبض بالحياة كذلك ! وله ما يشبه
لملمس الأسطوانة الدقيقة .. لو كان عندي مزاج
للدعابات لقلت إنه يشبه الأقماعى .. ولكن ..

إنه أقمعى !!

٢ - ضيوف غير مرغوب فيهم ..

إنها أفعى حقًا ..

لا مزاح هناك ولا أنصاف حلول ..

رميت بالشئء على الأرض وأطلقت صرخة قصيرة .. كنت أفعى طولها نحو نصف المتر ، تتلوى كاية أفعى أخرى .. وأنا نشأت في الريف ولست ممن تشير للفران أو الثعابين ذعرهم بشكل خالص ، لكن صدمة الاكتشاف لم تكن مسارة بالتأكيد .. وإن بدا لي أنه من السخف أن أستغيث بأحد ، وأنهيت الموضوع بطريقتي وبالحداء الذي كنت أوشك على انتعاله ..

وعلى ركبتي رحلت أفحص الشئء المريع الذي كف عن الأذى .. كان أفعى ولم يكن ثعبانًا ..

والفارق بين الكائنين بسيط لا يدركه إلا المختصون وبرغم دراستي لعلم الحيوان ، لم أكن أعرف وقتها أن الأفاعى - على عكس الثعابين - لها أنياب عنيا متحركة تنثنى للوراء عند إغلاق الفك ، بينما نابا الثعبان ثابتان لا ينثنيان ، ولهذا يكون ناباه أقصر نوعًا ليتمكن من إغلاق فمه .. كما أن لبعض الأفاعى حفرة عسيقة بين الأنف والعين ، لهذا يسمونها (ذوات الحفر) Pit Vipers .. وهو ما ينطبق بدقة مفزعة على هذا الكائن ..

من أين جاءت وكيف وجدت سبيلها إلى صوتي ؟ كلها أسئلة غبية فالبنية عتيقة رطبة ، ولسنا في فندق من نوى النجوم الخمس .. هذه الأشياء تحدث ..

ونسيت الأمر برمته وتخلصت من القطة ، شاعرًا بكل المشاعر الهستيرية المصاحبة للثعابين ، والقديمة قدم الإنسان ذاته .. الشعور بأن يدي لن تنظفا أبدًا مهما غسلتهما .. الشعور بشئء ما

يزحف هناك تحت سروالى .. الشعور بأن الحياة
ستعود للثعبان لا محالة وسوف يعود للانتقام ..
الشعور بأن سم الثعبان يتجاوز حدود المائيات ،
ويمكن أن يؤننى دون أن لراه .. لكنى اعتمدت على
نشأتى الريفية الجسور ، ونسيت الأمر وذهبت لصلاة
الجمعة فقد حان الوقت .

ولم يظهر الثعبان الثانى - الذى كان ثعبانا
لاقى - إلا فى العاشرة مساء .. كان يخرج زاحفاً
من الحمام حين رأيته ، وأنا فى طريقى لـ ...
إحم ! لحلاقة بقى ..

لم يكن وبوداً ولا لطيف المشعر كزميله السابق ،
وقد احتجت إلى عدة ضربات بالحذاء كي أُنهى منه ،
ثم رحت أرتجف انفعالا بعض الوقت ..

من أين تأتى ؟ ولماذا الآن بالذات ؟ لو كانت

هذه الشقة موبوءة بها لاتضح لى هذا منذ أشهر ..
وكيف يجتمع نوعان متباينان من الثعابين فى شقتى
بالصدفة ؟

وفى هذه المرة لم أمر على الموضوع مر
الكرام .. حملت كشافاً كهربياً ورحت أفتش الشقة
بذمة ودقة لم يتحل بهما مفتش فى جمرى .. توجد
حجرتان ومتاع قليل .. لا شىء تحت الفراش
ولا داخل الصوان .. الحمام خال ولا أجرو على أن
أقول (نظيف) .. لا شىء فى المطبخ حيث التعلية
العتيقة - وصلت إلى مع الشقة ذاتها - التى يمكن
أن ينام فيها تتين جزيرة (كومودو) نفسه ..

فتحات ؟ لا أعتقد ونو كنت هناك فلما لم أرها ..
فى قصة العصابة الرقطاء لـ (شيرلوك هولمز)
كانت الثعابين تأتى من فتحة تهوية لتقتل الوريثات
الثريات .. لا توجد هنا فتحة تهوية ولا أحد سوى
طالب ريفى فقير لا يريد سوى أن يترك فى حاله ..

يبدو أن هذا مستحيل هذه الأيام .. إن أنت خلصت
من الفضوليين المزعجين ، فلن نعدم وجود أفعى
هنا أو هناك .. لقد صارت الحياة لا تطاق ..

هذه المرة أنا متيقظ ، ولن تكون هناك ثعابين
أو أفاع ما لم ..

عندما أظفك الأنوار وتمنيت لنفسى ليلة طيبة ،
كنت أعرف أنني لن أنام سريعا .. إنه أرق ليلة
الجمعة الشهير ، الذى يتأتى من استيقاظ متأخر فى
الصباح ، وتفكير فى هموم يوم السبت القادم .. ربما
بعض أكواب الشاي الزائدة ليلاً وحنين لا ينتهى
لبيتك وقريتك وأسرتك التى تنعم بلم الشمل الآن ..

رحت راقداً على ظهري أتأمل الظلام والضوء
الخافت المتمثل من خصاص النافذة ، حيث الحرارة
الساهرة من حولي .. وبعد دقائق بدأ النوم يداعب
جفونى ، وبدأت الأحلام تختلط بالواقع ..

سأكون رئيس العالم ، أو المقرر العام لكوكب
الأرض ، أو ملك (كولومبيا) لو تنازلت وقبلت
المنصب .. وقد من (كولومبيا) يتوسل أعضاؤه لى
كى أقبل .. لا يا سادة .. سنيورى أنا لست كولومبيا
ولا أعرف شيئا عن مشاكلكم ، كما لا أجد لغتكم ..
إبنى أعتر بشدة .. إهم ييكون ويلطمون الخدود ..
سنيورى أنت خير من يتولى هذا المنصب ومن
دونك سوف .. سوف تأكلنا الثعابين ..

تأكلنا الثعابين ؟

وبين النوم واليقظة رأيت الشيء الذى يتسلل
على خصاص النافذة ببطء مريب .. وقد احتاج عطفى
إلى فترة أطول من اللازم ليدرك أن هذا ثعبان ..
حقا ثعبان .. لقد رأيت ثعابين أكثر من اللازم هذا
اليوم حتى لم يعد الخطأ وارداً ..

وثبت من الفراش مضطرباً ، وهرعت أضىء
النور الكهربى .. لحظات يتألق فيها النيون

نرقرقى ، وأحسيرا أرى الشيء الشنيع يتلوى
هالك . وفى هذه المرة لحتجت إلى ما هو أكثر من
قوة الإرادة كي لا (أرفع بالصوت الحياتى) ..

كلا لم تكن ثمة ثقوب فى خصائص التافذة ،
ولا سبب لظهور هذا الزاحف إلا أن تكون قد بحثت
بإهمال حيث لم يكن ينبغى أن أبحث بإهمال !

كس الأخضر اتون حميلا مهيب المنظر . لكنى
لم أكن فى مزاج رائع لدراسة فملاط للتخفى البينى
ندى الزواحف .. وهكذا ارتديت ثيابى وعيى
لا تفارقاته ..

و غادرت الشقة كلها علما عني أن أجد فى
الصباح حلا جنونيا ما ..

وقفت على الدرج متستلا : إلى أين أذهب ؟
كنت اسمع ضوضاء وأرى نورا ، فادمين من شقة
لحظة فوق رأسى ، وفكرت فى أن أصعد لهم لابتسم



وبين النوم واليقظة رأيت الشيء الذى يستل
على خصائص القاعدة بطة مريب

بظرف وأظف لمست نكس حرس تحنت وحوهم
للمسجة الكرامة ، لم أجد النجدة قط إن الثعابين
أظرف على كل حال وسأبني تقمسي خيرا من
هؤلاء ..

وهكذا توكلت على الله ، وخرجت إلى الشارع
الذي ساد الظلام والبرد ..

ولم تكن تلك هي الليلة الأولى التي كتب على
أن أبيتها في الشارع في بيت العبد هذا

في الصباح - بعد ليلة سعية قضيتها في المقاهي
والزمهرير المعتاد - عدت إلى الدار ، وقد ابتعت
بعض شطائر الفول والفضة (البرو) كالعادة ،
وقد عذمت على أن أشبع روعهم الضخم ، ثم
أحق بالكنية ، وشعاع عويش بعدى تمسبط الشفة
في نور مناسب يذهب شمسى ما أجمل
الشفق القنية في الشتاء واتسعت في الحر

فما إن دخلت المطبخ حتى تقلصت أمعائى ..
لقد كن مطبخ الشقة مزدحما بعدد يتجاوز الستة
من هذه الكائنات ، بعضها ضخم يذكرنى بالـ (بوا)
التي نراها في السيماء ، وبعضها ضامر أدنى إلى
بدان الأرض ..

كان أحدها له ذيل من حلقات متداخلة ، يهزه
هزا حثيثا محدث صوت خشخشة خفيفة مفزعة
شك شك شك شك ! ثعبان التجرس ؟! هل هو
موجود في مصر ؟ وإن كان غير موجود فكيف
جاء هذا الثعبان المستورد إلى هنا ؟

لمسكت بالمكنسة وهويت بها على الرعوس كلنى
(عنتر العيسى) في حومة الوغى .. لكنى لم أقمن
تقبيل انتفاعى لأن لها بريق ثغر (عبنة) كما كان
(عنتر) يقول .. يا للبشاعة ! يا للامنزلة ! ليس
أبشع من رؤية الثعبان إلا قتله ..

أخيراً انتصرت . وصار على المسط شقة
بغاية .. ولتنس المحاضرات نوم ..
ها هنا تطبق على جيد نعم الحمول ..
لاأتمنى لو أرى الدكتور (عزم) سبب في موقف
معاش . هن سيمعنه عنمه من الاشهر ١٢ سنة

لو لم أكن ريفياً - كما قك - لتوقف قلبى هنا

ومن جديد بدأت البحث . ومن جديد سم أحد
شسا .. لو ظهر لى شعبان جديد معن المحم ان
الأمر يدخل فى مجال الخوارق

* * *

٢ - حلول لا تجدى ..

وحملت مجموعتى الثمينة من الثعابين فى
كيس بلاستيكى ، وغادرت الشقة عازماً على أن
أتجه إلى من أعرف أنه يفهم فى هذه الأمور .

وعلى المسلم قابلتها متجهة إلى الكلية وهى تحمل
حافطة أوراق وكتاباً عن إدارة الأعمال . (هيام)
طبعاً . جارتى الحسنة التى لم تبد حسناء فى هذا
الوقت بعينها المنتفخين اللتين لم تظفرا بنوم
كاف .. لعنها الثعابين ؟! ولاحظت أنها ازدادت
بدانة فى الاونة الأخيرة .. تباً ! أنا لا أطيق
البدانة ..

دنوت أكلمها بتلك العبارات السريعة الهامسة
التي نتبادلها حين نلتقى لبضع ثوان ..

كان سؤالي بعد التحية بسيط جداً ، وإن لم يكن أفضل ما يقوله المرء لثقة نتي بميل إليها حين يلقاها صليحاً :

- « هل توجد شعابين هنا ؟ »

وكان جوابها بعد الضحكة المنحرفة مختصراً جداً :

- « ألم يخبروك عندما جئت ؟ ! »

فلما رأت تعبير البلاء على وجهي اتسعت ضحكتها أكثر ، وقلت :

- « لا تصدق كل ما تسمع ' هذه مجرد دعاية .. بالطبع لم تصل الأمور إلى درجة شعابين . هناك الكثير جداً من الأبراص على كل حال » .

- « ولم ترى شعباً واحداً طينة هذه للسنين ؟ »

- « بالطبع لا وإلا لما وحدثني حبة أرزق . دعني أصارحك أنني أمقت الشعابين إلى حد ما . ولكن لماذا تسأل ؟ هل رأيت شيئاً ؟ »

أما وقد وضعت الأمور في هذه الصورة ، فقد بدا واجباً علي أن أرحل دون تعليق . أو بتطبيق على غرار (لا شيء . كنت اتساءل فحسب ')

لماذا إذن كنت أنا أول من ابتلى بهذه الأشياء ؟

في قصة قديمة لـ (هـ . جـ ويلز) * ، مثل بطل القصة أحد السحرة في (سيراتيون) ، وقد أدت لعنة الساحر المنصبة عليه إلى أنه صار محطاً بالشعابين في كل حين وفي كل صوب . هذا بالطبع بالإضافة إلى أشياء أخرى لا تفيد موضوع .. ولم يتخلص من هذه الكارثة إلا بالطريقة القديمة . قطع شريان عنقه بالموسى ..

لا أذكر أنني قتلت أي ساحر أفريقي على الأقل

(*) قمتها في (رواية علمية للجيب) رقم (١٦)

في الأشهر الماضية . كما سي نست من هوة
الانتحار .. فتقتنى الثعابين لكي لا فعل شيت
بنفسى .

* * *

هذا مكتب الدكتور (عزام) في تكية ليس
كل من يدرس علم الحيوان دهم شعبيين ، لكن
دكتور (عزام) كان موفى وترو حفى في لرجة
لعشق . واهتمامه بها يتجاوز موضوع الدراسة الى
هواية حقيقية لا يكف عن تنميتها . وحياته كانت
تري في ملامحه ملامح منحنى عذو بلا مبهمة
باختصار كان هو الرجز الوحيد في كية العلوم
الذى يعرف تفاصيل التفاصيل عن شعبيين

كن من الأشخاص اللينوس . دمه مريع فعض
حقاً .. عذو كان يتحوو . في نوع من الكوبرا
التي تثب في وحوه مهاجمة

- « هل يأنس لى أستاذى باستشارة ؟ »

قال فى نفاذ صبر :

- « لن نترل عن نسبة الحضور إلى محاضراتى
لو كان هذا ما تسأل عنه .. إن المنهج الذى على
أن أدرسه .. »

قاطعه فى حب ، وقلت :

- « بل الموضوع لو سمحت لى يتعلق ببعض
الثعابين .. »

وعنى مكتبه - فوق جريدة - فتحت الكيس ،
وفرغت الثعابين التي تمليت بقتها على مدى أربع
وعشرين ساعة .. فصفى بغمه معنا اتبهاره

- « هل كنت تجمعها في صحراء (أبو الريش) ؟ »

قلت فى أدب دون أن أجسر على الجلوس .

« هل فى شفتى يا صيدى !! »

نأمل انماذج شتى امه * و ..

« لا يصرح يا في هذه كوخ لا تحتشد في
مكان واحد إلا في أحسن حذسى إن ما نقونه
هو ببساطة مستحيل ! »

قلت له في إصرار :

« بل هي حقيقة ، وهذه عظمى قول شهيد »
مد يده يتحسس الثعابين في شفاف ، وهو
يفهم :

« ثعبان الحرى بواكوس اهاه ! ثعبان
صنوبر تر مميت رباد ! بر دى لانس .
أفعى راصل يا سلام ! ما لحمال ! يا لها من
مجموعة قردة ! العذبة الوحيدة هي .. وقع
وكلف ، ولابد من مدحس راد .. بؤسك ! »

صعد في رعد ، وقد رعد موصلى

« و .. ولماذا يا سيدى !! »

« لا أعرف سر مرحتك لكنك تحاول التلاعب
بى .. رجل فى سننى ومركزى لا يعد التلاعب به
تسلياً محترمة هات الكارنيه الخاص بك !! »

وأنا طالب محترم طالب من الذين يحترمون
أماناتهم حقاً ويجلونهم حقاً ، وترتعد فرائصى
لوقيلت أخدمهم يمشى فى الشارع . ما كان غضبه
من الأشياء التى تناسب شخصاً حساساً مثلى .

لذا تماسكت بعد لآى وقت له ، وأنا لاشعورياً
فحس جيبى حيث الكارنيه كى لا يترعه أحد من
هناك :

« سيدى .. يمكننى تقديم الكارنيه ويمكن أن
أستحق أى عقاب .. لكن هذا لى يغير حقيقة أننى
وجدت هذه الأنواع فى شقتى فى يوم واحد ! »

« وأنا أرفض تصديق هذا ببساطة . لأننى
رجل علم .. »

ثم نشر لتبليغ في الشعار . كم بطرد (يوسف بك وهبي) ابنه الفساد في المسرح ، وقال

- « يمكنك الانصراف دون عتاب ولسوف تائبك بحرص لأرى إن كنت وقحا تطرف أم مجرد معتوه ! عندها .. عندها ! »

وكانت بقية العبارة واضحة يبدو ان الفصل ليس أقصى عتاب في جعبته نذا اتجهت للباب ، ولم يحاول أن يدعوني الى احد الثعابين معي - وهو ما كنت زاهدا فيه أشد الزهد - لأن اغراء الاحتفاظ بهذه العينات النادرة كن أقوى من الحزم لديه .

هكذا يمكن تلخيص الموقف في أن ما يحدث لا تفسير له ، ولا توجد سوابق عليه ، وعلى وحدي أن أجد تفسيراً ما ..

* * *

وهنا خطر لي أن أسأل (عاطف) زميلي في الكلية ، فهو ممن يفهمون في هذه الأمور .. المشكلة هي أن هناك عدداً أكثر من اللازم ممن يفهمون في هذه الأمور في هذه الأيام ..

إن (عاطف) من قرية مجاورة لقريتي ، لكنه يكبرني في السن والمرحلة الدراسية ، وله علاقة حميمة طويلة بالقاهرة ، حتى إنه صار من أبنائها فعلاً .. لقد صار يحفظ أرقام الحافلات ، وهو يجيد عبور شارع (صلاح سالم) على مرة واحدة دون أن ينتظر مثلي معجزة ما توقف تدفق السيارات ، وهو لا يخاف سيارات (الميكروباس) المجنونة ويمر من أمامها .

وقال لي (عاطف) حين أخبرته :

- « لا عليك .. لقد اعتدنا هذه المواقف حيث أقيم ، وعليك أن تتعلم أن الثعابين ليست عاراً عليك أن تخجل منه .. إن لكل مشكلة حلاً .. »

في اثنان بطمه تساءلت

- « ماذا تفعل لو كنت مكاني ؟ »

- « العطار يملك حلولا لمشاكل من هذا النوع .

والمرحومة أمي كانت تقول كنه عبد العطار
ما عدا (حبي غصب) »

- « لا أريد عطارا يملك حلولا لمشاكل الحب
من طرف واحد كل ما أريده هو خلاص من
أفعى الـ (فيردى لانس)^(*) »

وهكذا اتجهنا بعد الدراسة الى أحد العطارين في
باب الشعرية ، فابتننا كبنا من (المسيح النابوني)
وهو مسحوق شيطاني لرائحة . نه أغرة على طرد
روحك نفسها فكيف بتشعابين ؟ وأقسم الرجل إن

(*) فيردى لانس عبد الله بن عبد الله (من الريح)

واعتقد بذلك المعروف من هذه ديمية سنة ١٩٨١

هذه المادة كفيلا بإبعاد الشعابين عن داري علمين ..
إن للبدو أساليبهم كما قل ..

سألته في فضول علمي :

- « هل يمكنه طرد أفعى الـ (فيردى لانس) ؟ » .

نظر لي لحظة ليدي ما إذا كنت أسخر منه ، ثم
تعطبت عليه غريزة التآخر فصاح :

- « بل وأفعى (ابن فرانس) ذاتها .. إن العلم
كله هنا يا بك .. »

- « وهل هناك أفعى اسمها (ابن فرانس) ؟ »

- « بالطبع .. (أمل) . كل شيء موجود
يا بك .. »

ثم انصرف إلى زبونة تزن قنطاراً تبحث عن
أعشاب تجعلها أكثر بدانة ..

وعدت لداري موحسناً ، ففقت بتطيق ثلاثة

أكياس قماشية ملأى بالمسحوق في ثلاثة مواضع
استراتيجية ، واعتمدت في هذا على المسامير
الصدنة التي نثرها من كانوا هنا قبلي . لم أتوقع
نتائج سحرية لأن الحول السحرية لا تجيء بهذه
البساطة ، وإلا كانت الحية أكثر رعباً وبهجة ..

وبدأت لمارس حيتي المعهودة . فتحت علبة من
السردين ، وسحقت بقبضتي بصنة صغيرة واستعدت
للتناول الغداء حين دخلت إلى المطبخ لأجلب رغيف
خبز ، وهنا وجدت أن الكيس لم يكن بهذه الفعالية ..
لقد كان ثعبان صغير ينتف حوله وينضمه بأنفه
وهو معلق على الحائط !

- « لم يكن علاجاً فعالاً بـ أخ عطف !! أعتقد
أن الثعابين أحببت الشبح البائس . وسيت مهتماً
بأن توفر لها حياة رغيدة هاتمة . »
هز رأسه وابتسم بما معناه انني أقول شيئاً
معروفاً :

- « كنت من البداية أعرف هذا .. إن أكثر
هؤلاء القوم نصابون .. »
- « ولماذا كلفتني ثمن المسحوق إذن ما دمت
تعرف كل شيء ؟ » .

- « كي ترى أنه لا مناص من الحل الثاني .
وفي ثقة تخذعني في كل مرة قال :
- « أنا .. أعرف رفاعياً لا بأس به ! »

٤- مغامرة الرفاعي ..

بغبائي المعتاد في هذه الأمور تساءلت ..

« أنت تعرف رفاعيا ؟ »

« طبعا .. لا تقل لك لا تعرف هؤلاء

القوم .. »

« بل أعرف من هم ، ناسي لا أعرف من أين
يجيلون ، ولا في أية كلية يتخرجون ، ورقم هاتفهم
غير مذكور في دليل الهاتف على ما أظن .. »

« أنا أعرف واحدا .. وسوف يثير دهشتك .. »

« لم يعد شيء يثير دهشتي منذ وجدت أفعى
(فير دي لانس) الأمريكية في حمام شقتي .. »

٤٢

وفي الساعة مساءً جاء الشيخ (حمدون) إلى
داري ، وهو رجن خيش الرائحة والنظرات والكلام ..
وقد حرص على أن يبدو نصبا بلحيته البيضاء
المشعثة التي خضب أطرافها بلون أحمر ، والتي
تغطي صدره ، وثيابه المزركشة المبهرجة التي
خط أكثرها من رايات الطرق الصوفية الخضراء
الزاعقة .. تلك الرايات التي تقع في يده بعد
الموالد .. وعطره الدسم الذي يذكرك برائحة
بودرة (التلك) ، وعصاه المزخرفة المزينة بكل
خرقة وجدها في حياته ، والكيس القماشى المعلق
في ثراعه . إنه آخر جيل من أسرة رفاعية عريقة
لا بد أن أحدهم كان من سحرة (فرعون) الذين
أنقوا عصيهم أمام سيدنا (موسى) عليه السلام ..
في تلك الأيام السحيقة كانوا يعرفون ما يفعلون ،
أما هذا ..

ما إن دخل داري حتى بدأ في إلقاء عبارات

لا معنى لها ، يقولها بسرعة غير عادية ، وشفته
تهتز كما يهتز ذيل (البرص) بعد قتله ..
وتشمم الجو وغمغم في استمتع .

- « شيخ بابونى !! يا سلا !م !! ما أجملك !! »

ومشى فى أرجاء الشعة وهو يزوم كالقط ..
نظرة رفاعية كارهة للشعابين تلتصع فى عينه ،
وبالتأكيد لم تلتصع من قبل فى عين حيوان
(ماتجوست) فى (كشمير)

ثم أشار إلى ما تحت الفراش ، وقال كلمة
واحدة :

- « هنا ! »

ودون كلمة أخرى خر زحفاً على ركبتيه
وغاص تحت الفراش ، فلم نعد نرى سوى ساقيه
النحيلتين فى جوربيهما الأبيضين المتسخين ..
بعد ثنية واحدة خرج من هناك وعلى وجهه علامات

الانتصار ، وفى يده شعبان بئس يحاول التلوى
والإفلات بلا جدوى ..

ودسه فى الكيس ، وأغلقه بأنشودة ثم واصل
مهمته ..

- « شيخ بابونى !! يا سلا !الم !! ما أجملك !! »

ودخل المطبخ ، دون أن يكف عن إبداء عشقه
المبرح للشيخ البابونى ، فوقفت مع صاحبي
نتهامس بالخارج :

- « من أدراك أنه لن يخرج الشعبان ذاته من
الكيس لنحسبه جديداً ! »

- « ساعد الشعابين بعد انتهاء مهمته .. ثم إننا
لانتحدث عن عرض حواة .. إن لرفاعية رسالة !! »

- « لم أر صاحب رسالة يصر على تقضى ثلثين
جنيهاً مقابل تأدية رسالته ! »

.. لا بد للرجل من أن ينفق لبعض ..

امرأة رأت فاراً يظل من كم ثوبها

من تعلو يذ الرقاعية مجتمعين

وهرعنا إلى المثلح لسعد الرجل به له أ
صغير الحجم ينسب أسانه في ذراعاه العازيه

ثعباناً أو اثنين من نوع غير سم في ثيابهم . ثم
يظهرون ما لديهم لأصحاب الدار باعتبارهم قد
حنوا المشكلة ، وأنموا عمشة الظهر ' والمشكلة
هنا هي أن الرجل أضف ثعبانين اتى ما كان فى
دارى بالفعل !!

راح الرجل يولون وهو يتأمل اندم المنساب من
ثعبين صغيرين فى ساعده . فكتب له مطمئنا :

- « لا تجزع إن سم ثعبين لا يؤثر فى
الرفاعية ! »

وتأملت الثعبان الذى قبلته حالا وفكت فى رضا :

- « ثعبان المرجان . هـ جميل ' إنها المرة
الأولى التى أراه فيها يبدو جميلا . »

صاح فى رعب :

- « تبا لك ! تبا لك ! انت لا تفهم لا تفهم !! »

ثم أخرج إصبعين من أصابعه نهد عليهما :

- « أقسم بالله العظيم الذى لا يضر مع اسمه
شئ أن هذا البيت نجس . وانت امرؤ سوء .. »
- « وأنا أقسم بالله العظيم أنك نصاب ! وهذا
يكفينى حالياً . »

وطرنته من دارى مع صديقى العزيز طبعاً .
ونصحته أن يأخذ جرعة من المصل المضاد لسم
الثعبان فى أقرب فرصة (هذا بالطبع لو وجد تربلى
سم ثعبان المرجان فى المستشفى العام) . ثم
استندت إلى الباب ألهمت وافكر فى حقيقة هذا كله .

أتى نفى مازق مخيف مخيف .

وفى هذه المرة صممت على أن أغادر المنزل ..
فلا خير فيه من أى نوع . وليقع تفسير ما يحدث
على عاتق البائس الذى سيجيء ها هنا بعدى .

فى الصباح . طرقت باب العجوز صاحبة المنزل .

فتحت لي شراعة الباب كعندها ، وفتحت لها باقى
إيجار الشهر ، وأخبرتها أننى عازم على الرحيل غدا
بسبب الشعابين لم تبد أية دهشة - كأننى أتكلم
عن انقطاع لمياه - لكنها تذهمت كثيرا لأننى أرحل
بعد بدء الموسم حيث يستحيل أن تجد مستأجرا
الآن ، وقالت إننى أفسدت عليها موسما بأكمته .
وابها لو كانت جشعة لطلبتنى بدفع باقى إيجار
العام الدراسي ..

كنت أكلمها وعينى على وجهها المحمد البشع .
وخطر لى أننى لا أكاد أرى لها جفنين أقسم إن
عينها لم ترمش لحظة طيلة كلامي - هو خاطر
عابر سرعان ما نسيت - والآن لذك - جيدا .
واسأل نفسي سؤالا بلا جواب .

لماذا لم يثر هذا رعى وقتها ؟

الآن أبدأ حزم ثيابي وكتبي - سدا البحث عن
منزل آخر حالا .. هي مهمة عميرة لكنها ليست

مستحيلة خاصة لو وجدت طالبا يحتاج إلى رفيق
مسكن ..

وقضيت يوما أسود بلى حذائى فيه ، ودخلت
كل حارة ، وسألت كل قهوجى وكل سمسار عن
شقة ، ودخلت أوكارا تشبه أوكار العصابات .
ومشيت فى أزقة تشبه مجاهل إفريقيا .

لكن ما حسبته سهلا لم يكن كذلك .. وسرعان
ما أدركت أن البحث عن مسكن بعد بدء الموسم
شبيه بالعثور على فتاة أحلامك بعد ما تزوجت
وأنجبت عشرة أطفال ..

وعند ميلاد المساء عدت لدورى منها . وأدركت
أن أمامى حلين : إما القضاء على المشكلة ، أو
العودة إلى قريتي لأخبرهم أننى فشلت فى دراستى
بسبب كثرة الشعابين ' لن يروق هذا لأبى كثيرا

خاصة أنه اتهم بعضهم يوماً في حرب ١٩٤٨ حين كان جندياً في حصار (الدوحا) ، وكان يعتبر من يخاف الشعبين اتساك غير ضيع . غير جدير بإتسانيته ليس أممي حز سوى مقبلة العجوز غدا وبخبارها تأتي عنك عن الرحيل .

وبالطبع كان على أن أحد شعبين ، أحدهم في دورة المياه ، والآخر كان في شراشي نعم .. نقد صارت هذه المشاهدة معتدة على كل حال . لكني لم أتعرف نوعيهما ، وقد حقني هذا الشعر ببعض الخجل من جهلي ..

* * *

٥ - إنهم يأتون ليلاً ..

وفي التاسعة مساءً دق أحدهم الباب . ففتحت لأجد (حسام) جلي المحاسب الغامض إياه .. واسمه - كما قلنا - (حسام) .. نسيت أن أصفه لكم وهو أبسط حقوق القارئ .. أعرف اتجاهات القصة الحديثة ، والشخصية الرقمية ، والشخصية انفورسترية .. الخ .. لكن بطريقة العتيقة تظن هي الأفضل وهي المحببة للقارئ .. لنقل إن الرجل كان في منتصف العمر . أصلع الرأس . معتلى قليلاً .. يضع عوينات سمكة من الطراز الذي تشتهر بأنه يضغط على كرتي عينيه ، وكان كرتي عينيه ضفدعتان محفوظتان في مرطبان زجاجي في معمل كنييتي .. وكان من الطراز المزعج الذي يتنفس بصوت عال في أنفك ، ويتحسس أرنبة أنفه من

شبا . لا يبدو لي قادرا على قننى . فهو ضئيل
الجسد . له نظرات مذعورة غير الشفقة ، وهكذا
خرجت معه إلى الدرج المظلم حيث الراحة . وأنا
أتسائل عما سيقوله لي . وصعدت بضع درجات في
السلم المظلم عطن الراحة . ها هو ذا السطح
الكنيب الذى عنقت به بعض حمار الصيل . وثمة
(عشة فراخ) خفية وبعض قطع لقرميد هنا
وهناك ..

على باب السطح تصلب . وشر إلى الأرض ..

كانت هنك في الصوء تحافت عدة أكياس فارغة
من النايون ملقاة جور السور العرميدى الخشن ،
وكان بوسعى أن أدرك أنها من نوع رقيق جدا
غير مأثوف .. الغريب هو أن حجمها كان ضخما
جدا لم أر مثله قط .

قال لي وهو ينحني ليستط كيسا . ويداعبه بين
أنامله :

- « ما هو قطباك ؟ »

- « هذه الأكياس كبيرة جدا تصلح أكفانا ! »

- « لقد دنوت من الحقيقة . دنوت جدا .

والآن تعال وتحسس هذا الكيس من كُتب »

جثوت على ركبتى مثله وتحسست أحد الكيس
وهنا فطنت إلى أنه ليس مصنوعا من نايلون أصلا
بل هو أقرب إلى مجموعة من الحراشف لتمتدخلة
العمراكية . الرقيقة الى حد لا يصدق ، وكنت بين
تفشور بعض حشرات الحلم تمرح هنا وهناك ..

- « أنت نشأت في انريف . وتعرف جيدا هذا
المشهد . أليست عندكم ثعابين ؟ ألم تر الجلد
المتخلف عن عملية اسلاخ جلدتها التى تتم
مرتين أو ثلاثا في العام ! »

- « بنى . لكن هل يوجد ثعبان بهذا الحجم ؟ »

قل في تفلسف كاته ينقى محاضرة في الجامعة

... من أسوأ ودمدمت من عذاب الحزم .
 ومحصلة عمله أنه لم يترك من الأعمال
 ما ليس في سبيل الله وأمر بما يمتنع من الدنيا
 ما كان من غير قدر على ما هو عليه من الأنواع
 في مدبره لا في سبيل الله . . . حيوان «
 - « أنت تفهم في الثعابين إذن .. »

... ثمرة شجرة ... هذه الأيام
 إلا عبا !

- « ولماذا ؟ »

أسمعت عيناه رعباً وهمس :

... من أسوأ ودمدمت من عذاب الحزم .
 في الفترة الأخيرة !

... من أسوأ ودمدمت من عذاب الحزم .

ويفكر كل منا في السؤال ثم هيب نفسي على
 الأقل هناك من يشارك في البلاء شيء هذه الدنيا
 ولكن هل هو صادق ؟ وما سر الله على النبي
 لا تختار غير الوحيدين لنقصي الألفه كي سمك
 شفقهم ؟ مد يده وفرد الحبل ليربوا ...
 الكمين يخرجنا منه . ومن جديد سألني
 - « ما رأيك ؟ » .

كان مشهداً فريداً من نوعه لا أحد له عهد
 ولكنني قلت له كي لا أظل صامتاً

- « هذا جند ثعبان ذي ذراعين فيما عرفت » .

ابتسم في مرارة وقال :

- « لقد لاحظت ما أعنيه . طيلة الليل كنت
 أسمعهم يتون إلى هنا ، ليحكوا جلودهم في القرميد
 الخشن ، ولم أجرو قط على الخروج من غرفتي .
 لكنني في الصباح وجدت هذا .. هل تفهم ؟ لابد لهم
 من الأسلاك كي ينموا ويزدادوا حجماً ! »

- « هم ؟ من هم ؟ » .

- « كل مكان المنزل ضعا !! »

هنا كنت أنصرف وقد اتضح لى الأمر .. محلب
خاف ، وسكان منزل يستخون جنودهم وثعابين ..
هذا الرجل فى سبيله لنجوى إن لم يكن جن منذ
شهور ..

تعلق بذراعى وهتف :

- « أعرف ما تفكر فيه لكن الأمر ليس كما
يبدو .. تعال لغرفنى كى نكلم »

وتبعته إلى غرفته عبر ممر ضيق فوق السطح ..
وفى الظلام سمعته يهمس من بين أسنانه :

- « صمتا ! المهم ألا تثير حفيظتها فهى عصبية
جدا !! » .

- « هى ؟! »

- « نعم .. الاصله الشبكية التى تقيم هنا ..
يمكنك أن تطمنن نوعا لأن هذه المخلوقات تأكل مرة
كل شهر تقريبا ، وقد أطمعت هذه منذ أسبوع !! »

وكنت لأجهل كل شىء عن ثعابين ، فلم أقهم جيدا
إلا أنه يتكلم عن ثعبان ما ، ولم أفهم الحقيقة
إلا حين وجدت الأسطوانة المصلاقة التى يصل طولها
إلى خمسة أمتار وقطر مقطعها يصل إلى قطر
البرميل ، متعددة فى الظلام ، ملتفة حول نفسها ،
تتحرك تلك الحركة البطيئة المنزلقة الشريرة
الخاصة بالثعابين . فلو لم أتب له لدستها بقدمى
كنت معددة بالضغط جوار باب غرفته ، ومن
السهل أن تقتحمها العين فلا تتوقف عندها .

- « ه .. ه .. هذا ثعبان !! »

- « ظننت أن هذا واضح !! »

- بهذا الحجم ؟ -

... ..

وسائله :

« هل .. هل هو سام ؟ »

[illegible]

للخول ..

١٠٠

94

۱- هرگاه که در هر یک از این موارد
 ۲- هرگاه که در هر یک از این موارد
 ۳- هرگاه که در هر یک از این موارد
 ۴- هرگاه که در هر یک از این موارد
 ۵- هرگاه که در هر یک از این موارد
 ۶- هرگاه که در هر یک از این موارد
 ۷- هرگاه که در هر یک از این موارد
 ۸- هرگاه که در هر یک از این موارد
 ۹- هرگاه که در هر یک از این موارد
 ۱۰- هرگاه که در هر یک از این موارد

وقت له مذهباً :
وقت له مذهباً :

- « هل استطعت الحياة هنا ؟ »

عن أبيه في فضول :

— وسموہد مد ظہرہ —

اسماء بنت ابی بکر

1. The first group of people who are interested in the study of the history of the United States are the people who are interested in the history of the United States.

أرخص مكن يمكن العثور عليه من في القاهرة
 فحسب ، بل ربما هو آخر مكن أيضا . اعفد أنت
 سألت وبحثت ووصلت إلى الحقيقة ذاتها . اتنى
 من اتريف مثلك ، تكن لا سرقة نى هناك ولا بيت
 ولا أرض . معنى هذا انه ليس أمامى إلا هنا
 او السجن . وأنا لن أدخل السجن بسبب بعض
 الثعابين .. إتنى لا أحتمل هذا الشرف . وعلى كل
 حال أنا كنت فى الصاعقة يوم ما حين كنت
 صحتى أفضل .. فى الصاعقة تعلم لا تخاف
 الثعابين بل ولربما ..

« تاكلها .. أعرف هذا كله .. »

كان لى يتكلم ..

وساد الصمت برهة ، ثم سألته بسؤال آخر :
 « وكل سكان البناية يعانون من مشكلة ذاتها ؟ »
 « بالعكس واضح نرى وثبت توحيدان الذاتان
 لدين ثعابين .. ولهذا معنى خطر .. »

« مثل ؟ »

« مثل أن كل سكان البناية على غير ما يرام ..
 ألم تلحظ أن عيونهم لم تعد لها جفون ؟ »
 تذكرت وجه صاحبة البيت .. إنن لم أكن
 مجنوناً ..

« هلى .. هلى »

« والعيون ذاتها انتفخت نوعاً .. ووزنهم
 يزداد يوماً بعد يوم .. ثم هذا الجلد المسلوخ على
 السطح والذي لا ينتمى لأى ثعبان حقيقى .. »

« طيلة الليل كنت أسمعهم يأتون إلى هنا ،
 ليحكوا جلودهم فى القرميد الخشن ، ولم أجرو
 قط على الخروج من غرفتى ، لكننى فى الصباح
 وجدت هذا .. »

- « ماذا ترمى إليه ؟ »

- « أرمى إلى أننا فى بنية قديمة يتحول مكتب
إلى ثعابين ، لسبب لا ندريه ؟ »

* * *

٦ - أسطورة بيت الأفاعى ..

وقفنا فى الغرفة ، وجلت حولى بعينى فلم أجد
ما يستحق أن أتوقف عنده .. كانت كغرفتى أو
أسوأ قليلاً ، لكننى على الأقل كنت أملك مطبخاً
وحماماً وما يمكن تسميته شقة .. كل شيء
منعثر ، ومشاريع لم يستكملها قط على أوراق فى
كل مكان .. هذا إذن من الأشخاص الذين يبدعون
يومهم شعراء ، ثم يملون هذا عند الظهر
فيتحولون إلى مخترعين .. فقط ليكتشفوا عند
المساء أنهم أدباء ، وقبل النوم يضعون لأنفسهم
عشرات الخطط مستحيلة التحقيق للفد ، بدءاً
بإجادة اللغة الفنندية وانتهاء بالإقلاع عن
التدخين .. لكننى لاحظت مكتبة متميزة لكتب السحر
إياها التى بالتأكيد يشتريها من مور الأربكية ..

فقط السحر يستطيع تحويل هذا الواقع المتهالك
إلى نجاح .. لن أنسى هنا طبعاً ذكر كتاب ضخم
عن الزواحف وجدته مفتوحاً كأنه كان يقرأ فيه
ظهراً ..

التقى (حسام) موضعاً بعيداً عن الثعابين
وجلس .. كنت أجلس بدورى لكننى سمعت الفحيح
الغاضب فالتفت .. ورأيت ثعبان (كوبرا) يرفع
رأسه فى ذلك الوضع المنتصب الناشر للشهير .
وقد كثر عن أتباعه حيث كنت أن أجلس ! الواقع
أن رأسه كان فى هذه اللحظة بالذات فى نفس
مستوى رأسى !

وفى اللحظة التالية أدركت أن عوينتى ملطخة
بمسائل لزج ، فترعتها غير فاهم . تناول مضيفى
عصا مكنسة وطوح بها الكائن المريع أرضاً .. ثم
التزع عوينتى من يدى وراح يمسحها بمنديل ..

- « معذرة .. نسيت أن أنذك . إنها كوبرا



رأس الثعبان (كوبرا) فى ذلك
الوضع المنتصب الناشر

(رينجهاال) التي تقذف السم في العيون ! إنها
تجيد التصويب على بعد سبعة أمتار ، وفي الغالب
تسبب العمى لفريستها . لو لم تكن أنت ذا أرب
عيون - كما يقولون - لأذت هذا بشدة ! »

كدت أصاب بتهيار عصبي .. هذا كابوس
لا يمكن إلا أن يكون كابوس

صوت الحفيف الشرير المميز لحية الجرس
- تنك تنك - يتردد من مكان ما . أريد الرحيل من
هنا .. أريد العودة إلى قريسي . ولم أتمالك نفسي
إلا بعد ما غادرنا الغرفة الموهوبة لنقف في الظلام
البارد بالخارج ..

قلت له بعد ما تمالك نفسي

- « لماذا شفتك بالذات وبهذه الكثافة ؟ »

قال في استمتاع بذكري الذي فات ذعره :

- « لأننا نمر بطقس بارد . وشفتي من أكثر

الشق نقا في البنية ، لأنها تتشرب حرارة الشمس
طينة النهار .. كما أن شفتك قبالية ، وهذه الحرارة
تلام الشعابين دون شت ! »

- « أي أن كل ما علينا هو البحث عن شق
أبرد ؟ »

- « ليس هذا فحسب .. بل لا تنس أننا - أنا
وأنت - حديثا عهد بالمجرى إلى المنزل . ونوكل
شيء ما لا نفهمه يحدث ، فمن المؤكد أننا نمر
بالمراحل الأولى منه ، بينما سبقنا الآخرون .. إن
الأمر يتجاوز حدود المنطق ، وأنت تعرف أن لي
قراءات عدة في الـ .. في الأمور الخارقة للطبيعة ،
وأشك في أن هناك من يمارس ما يجذب هذه
المخلوقات إلى هذه البنية .. بل وأكثر من هذا
يحول سكانها ببطء إلى أفاع ! والإجابة في لطبق
الأول عند صاحبة المنزل ! »

- « ولماذا صرحته أنت ؟ » -

ابتسم في غموس وفتح وجهه على كى
لا أرى تعبيراته ، وقال صدقت على كعبته

- « لئى من الذنوب ما يؤيد وجهه نظرى

لئن أستطيع تقديم المزيد من التفسيرات
ولا أستطيع تفسير لماذا لا أستطيع تقديم المزيد
من التفسيرات .. ثم إن المرة معك .. تعمل مع
الكون كخفاش . وإلى سادس من تلك الذى
لا تسمح لأحد من أجبه أن .. أو كذا أن
السر يبدأ من الثقة فى نظري القول »

- « والحل ؟ »

- « الحل هو دخول شقة »

- « معذرة أنا لم أجهت حس .. تصب أنت

تحدثت عن دخول الشقة »

- « بل هو ما قلت .. »

ومد يده فى حيب سترته وعالج شينا . ثم
نوح بصل طويل يشبه بصل السيف ، كان يحمله
فى الحيب ، وقال فى حماسة :

« هكذا " تدس هذا بين شقى شيش النافذة
الى نض على الذائق الحلقى ، ثم ترفع النصل
لاعلى عندها يفتح المزلاج ، ويمكننا الدخول .. »
- « بهذه السطوة " كنت أحسب العجوز مصابة
بحون شك دائم . ولا أضها تكتفى باغلاق باب
شقتها .. »

- « لكنها بخيلة كنت . لهذا لم تبحث عن حل
جبرى لشيش غرفة الكرار لديها .. أنا دخلت
شقتها مرارا وأعرف ما أقول . هل تجيء معي ؟ »
ضحكت فى هستيريا ضحكت فى تلذذ .
ضحكت حتى دمت عيناي بينما هو يرمقنى فى

غباء ممزوج بالغيظ وفي النهاية تماكنت
أعصابي وقلت :

- « بالطبع لا . هذه هي المصيبة التي أتوقعها
منذ جئت لهذا المنزل .. »

بدا عليه نوع من خيبة الأمل ، وأدركت أنه
خائف ، لكنه يلهى أن يعلن هذا من فرط كبرياء ..
وفي الظلام هز رأسه وقال

- « ليكن .. كنت أظنك أكثر حكمة . إن هذا
الخطر سينمو ويستمر . لن يتوقف أبداً ، وعندها لم
لا تتساعل عن مصير سكان المنزل الأثرياء ؟ تقول
لنفسك : لا بأس .. يمكنني العودة إلى قريتي أو
البحث عن مسكن آخر . ليكن .. ولكن ماذا عن
الباقيين الذين لا يرتابون في شيء ولا يعلمون
ما تعلمه ؟ »

لم تؤثر في كلماته يحتاج إلى ما هو أكثر

من الحماسة كي يقتضى باقحام شقة عجوز ثرية
وحيدة .. ولماذا ؟ لأنه يعتقد أنها سبب ما يحدث !
ها ! ثم إن الموضوع كله هراء .. مجرد أوهام
من عقل أسقمته حياة الوحدة ..

وهكذا تمنيت له ليلة طيبة ونزلت في الدرج ،
لأغادر البيت عازماً على إ مضاء ليلة أخرى في
هذا الزمهرير .. ربما أجد مقهى دافئاً يظل مفتوحاً
طيلة الليل ..

رباه ! لماذا لم أصدقك ولم أتبعه وقتها ؟ لماذا ؟

في الصباح عدت لشقتي لأتناول الإفطار ، ولم
يكن من شيء جديد سوى عدد من ثعلبين (الرمح
الحديدى) - كما علمت فيما بعد - في الصالة فوق
أريكتي ..

خطر لى أن أصعد إلى السطح لأعرف ما تم

في مغامرة البارحة بخصوص المحاسب انا
 أغلقت الشقة ثم صعدت في المرحلى سقط
 كالعادة كان كل شيء مشرق بهيج ، حتى
 لتتساءل : لماذا كنت مذعور البارحة ؟ هذا امر
 لأحمق لا يمكن أن يحدث شيء ثم تحت شدة
 الشمس الودود الصديقة مستحسن يحدث
 شيء ..

لم أجد الاصلة إياها على الباب - كما توقعت
 بالضبط - مما جعلنى أتفعل خير

لكن المحاسب لم يكن هناك . طرق الباب حتى
 كل منى - كما يقولون - لكنه لم يكن موجوداً
 كررت المحاولة عصر ومساء دون جدوى .
 ولكن ..

ألم أخبركم بنصل السكين ؟ عصر نذى كان
 المحاسب ينوى اقتحام العجوز به " لقد وجدته

ملقى من تحت فرجة باب العجوز ، ونصله بداخل
 الشقة .. كانه خطاب دسه أحدهم لها من تحت
 الباب ..

وتجمد الدم فى عروقى وأنا أحاول فهم معنى
 هذا المشهد الرمزي الصامت البليغ .. مكان هذا
 النصل هو جيب المحاسب لو - على أسوأ الفروض -
 أى مكان آخر فى الشقة ما عدا تحت بابها .. هنا
 يبرز احتمالان .. إما أن للنصل سقط من
 المحاسب وهو يغادر الشقة من الباب .. فلماذا
 غادرها من الباب لا من النافذة حيث جاء ؟ لأنه
 كان خائفاً متعجباً .. هذا واضح .. والسبب ذاته
 ترك النصل يسقط ..

وإما أنه دخل الشقة ، ثم أصابه مكروه ولم
 يخرج منها قط ، ونسب ما قل نصف النصل
 خارج للعبية ..

فقط النصل هنا مما يؤكد دون شك أنه حاول

تنفيذ مغامرته المخبولة هذه . ولقد قصيت
 الساعات في عذاب لم تخفف منه كل شعابن
 (الادر) التي أحاطت بي تواسيى . هب شيئا
 حدث للرجل .. أفلا أكون بذلا تخشى عن زميل في
 البشرية ؟ ألسنت أنا الوحيد الذى يعلم بأمر
 مغامرته هذه ؟ هل العجوز مجرد ضحية بريئة ؟
 لا أظن .. لماذا لم تبلغ الشرطة إذن ولماذا لم
 تملأ الدنيا صراخا حين وجدته ؟ معنى هذا أن
 لدى خلطا ما يصدد الضحية البرية . ربما كانت
 الضحية هي من تسلك إلى شقة العجوز حاملا
 نصلا في يده . والان لم يعد من دليل على
 مغامرته سوى هذا النصل وشهادتى

إن الكيمياء المعقدة فى الدهن البشرى تؤدى
 عملها ببطء لكن بثقة .. سرعنى ما يحول حمض
 الكبريتيك الحارق إلى ملح كبريتات انحاس المسالم .
 وتحول أبشع الأفكار وأكثرها إثارة لنفورك إلى

أفكار معقولة ومنطقية جدا .. وهكذا فى النهاية
 قررت أن تسلك لشقة العجوز لأرى ويضمن قلبى ..
 لماذا ؟

لا أدرى متى اختمرت الفكرة فى ذهنى ، لكننى
 وجدت نفسى فى لحظة بعينها وقد وقفت تحت
 شبك العجوز المطلى على الزقاق الخفى .. فى
 يدى النصل - ذات النصل - وفى قلبى الشكوك
 - ذات الشكوك - التى اعتملت فى قلب محاسنها
 الهمام قبل أن يدخل ..

« حذار يا فتى !! أنت تفتح شقة العجوز ..
 كل ما كنت تخشاه تفعله الان فى إصرار .. كأنك
 بطل مأساة إغريقية ممن يخبرهم العرافون
 بمصيرهم فى البداية ، لكنهم بإصرار لا يتزعزع
 يفعلون كل شيء ممكن لتحقيق هذا
 المصير !! »

٧- على الطريقة الروسية ..

كان الافتحام جد سهلاً ، وهو ما كان يجب أن
يشير ريتى ، فلابد أن العجوز قد أحكمت تحصين
نافتها بعد مغامرة أمس .. ارتفع المزلاج لأعلى .
وانفتح الشيش دون غناء كما يفترض من كل أفعال
(الإذعان) فى اللغة العربية : انفتح .. انكسر .
انشطر .. انهار ..

غبار كثير .. برص يسقط من مكان ما .
بالقذارة !

الآن لنا واقف وحدى فى الظلام .. لا ضوء
سوى ذلك الخافت جداً القلام من الزقاق الخفى .
لا صوت سوى ذلك الطبل المدوى طبل
بل هو صوت تبض الدم فى أذنى ..

هذا ما قاله لى تلك للصوت الغمض فى مؤخرة
رأسى .. وكان ما قلته له هو :

- « لكن الوضع جد مختلف الان يا زميلى ..
جد مختلف !! »

« طائب العلوم الذى تسئل تشقة العجوز
 بغرض السرقة » .. « الدكتور النفسى (كذا)
 يكلمنا عن سبب انتشار الجريمة بين شباب ..
 « الدكتور (كذا) أستاذ عم الجريمة يحدثنا عن
 للخلل الاجتماعى الذى أدى الى .. » على
 للطريقة الروسية فعلها ، وكما كذب (ستوفسكى)
 فى (الجريمة والعقاب) »

كنت أسمع هذه العبارات فى ذهنى ، وأنا
 أتحسس دربى فى غرفة المظنمة خبيثة الراحة ،
 وقد أشعلت كشافاً صغيراً يطفى شعاعاً دقيقاً .
 على الأرض طبقة كثيفة من نفايات كفا فى أية
 مقبرة فرعونية يكتشفها الأخ (كارتر) .. ربنا
 يستر !! لو حدث شيء فلن يصدق أحد حرقاً من
 كلامى عن السكان الذين يسلحون جنودهم على
 المسطح ليلاً ..

الحق أن هذا الرعب أفدنى لقد جعلنى أكثر

جبنا فى نقطة معينة ، لكن أكثر جرأة فى نقطة
 أخرى .. لقد كان مصدر القلق الأساسى لدى هو
 أن تكتشفنى العجوز .. لكنى لم أخش لحظة ما قد
 أراه من هول .. وكان هناك حقاً الكثير من الهول ..
 ما هو ذا المطبخ وهو كالعادة خبيث الراحة
 ملئء بالفوضى ، وقطع الأثاث العتيقة التى
 صنعها نجارو (سنوسرت) ذقه .. أنور بمصباحى
 فى أرجاء المكان ، وأتمنى ألا أجد العجوز واقفة
 أمامى ..

وفى ركن المكان وجدت عدداً من أجسام
 بيضاوية متراسة .. كان طول الواحد منها
 لا يزيد على عشرة سنتيمترات ، ولها ملمس
 جندى غريب .. أنا لم أر بيض الثعابين ، لكنى
 اعرف أنه لين جلدى لا كبيض الطيور الصلب
 الهش .. هذا بيض ثعبان ، وهو ما يؤكد أننى
 لست بعيداً عن مجال بحثى .

كنت جثيا على ركبتي ، متواريا في الركن ،
غارقا في التأمل ..

لهذا قنيت متأخرا إلى صوت الفحيح الغاصب

كأنت تتحرك في الصلاة بحثا عني

من " العحوز طبعا .. لكن انعكاس النور على
جسدها جعلني أرتجف فرقا ..

أولا لم تكن تمشي أو تتوكل كما يفعل التسيوخ
شيء ما في اتسيابية حركاتها جعلها تبدو كمن
يرحف ' وكان نصفها العلوي مصصبا وفمها
مفتوحا ، واضح أنه هو مصدر الفحيح العالي '

كنت بعيدا ، والرؤية ضعيفة عميرة . وقد
أطفأت مصباحي ، لكن ما رأيته كان غير مريح
حقا . وكتمت صرخة كادت تفلت مني

واصح بها تنحط في تعرف كنها عن التمس
ها هي ذي تعود إلى الصلاة ..

يجب أن أذكر بسرعة . لو كنت هذه المرة أفعي
فعي إلا تحرك . تها ستمر بسببها في أمثلها
في الأرض . لو كانت أفعي فهي تحت عر حرارة
جسدي ، وعني أن أجد طريقة لـ . بها

لو أصنع حرارة تجنبها ..

كـ الموقف ذاتي فوثبت نحوه . وسحبت في
الظلام عن عتبة ثقب . ها هي ذي أفتحت احد
المفاتيح فشتمت راحة العر الطبيعي كتربهة
وضح انها لم تكف عن الظهي . وهو ما يعني
أنها لم تتحول الى ثعبان كمن بعد . حككت العود
بأسطح الخشن ، وراقبت النار إذ تتوهج ، ثم
زحفت مبتعدا إلى الركن ، واستمشت أرقب الحسوء
المتلألئ في قنق .

الفحيح يتعالى ويتعالى ..

و

« عسى أن يقبض أفعون على أمعوان . عندما
يجد فرس للنهر الصغير نفسه مفروسة في
الأرض الطينية .. أيتها الأرض . ابتلى ثانية
ما خرج منك ! »

تعويذة مصرية قديمة لاتقاء خطر أفعى (سيبا)

في اللحظة الداخلية لفت إلى المطبخ . وسقطت
أن أراها في الضوء للرقراق المنبعث من الموقد ..
حقاً كانت منتصبه كنبش ولكن شيئاً ما ..
رباه ! شيئاً ما في طريقة اتصالها لم يكن
يمت للبشر بصلة . الأسنوب الغريب الذي

يتراجع به صدرها ورأسها للوراء كما تفعل
الكوبرا للناشرة حين تتحين الفرصة للاقضااض ..
أسلوبها الغريب في المشي .. لم أكن أرى ساقها
لأن ثوب النوم للطويل الذي ترتديه يغطيها ، لكني
لم أشعر بحركتهما أصلاً كأنما المرأة تتحرك على
ذيل لا ساقين !

رباه ! هل أنا أخرف بفعل توترى ، والظلام
المخيم على المكان ؟ يا له من كابوس !!!

إنها تدخل للمطبخ .. تتحرك في تودة نحو
الموقد حيث النار التي شعرت بحرارتها كما يفعل
أى شعبان يحترم نفسه .. تطلق فحيحاً غاضباً
حين تدرك أنني لست هنا .. رأسها يتأرجح بحركة
شريرة لن تصدقها ما لم تراها ..

تدور حول نفسها بحركة اتسيابية رشيقة
لاتصدر من عجوز ، ولأمن إلسان أصلاً .. ثم ..

التي كانت في ذلك الوقت



بها تدخل المطبخ .. تتحرك في مودة نحو الموقد
حتى النار الى شعوب محرومينها

في الخلد في ربي ما لان او لالند

وثبت من متسى ملوحا بنصن . ونرسه شى
قهر الشوحش وتراجعت سورا مرسقا
يا للهول ' اسدرا لى التوجه ورايت - فى نور
نموقد - الملامح نلى صارت قرب و - من الملامح
الشعبين وثمة حر شى تفتى بشر اخراجه
وهنا ففتت نسيء انه يسمع عنه فتد . و لى
عرفت فيما بعد انه يتصدر من نسيء نسيء
(الانسين) عندما يتسرع بالتسطر - فى - مساهمة -
تخرج انهم من عيونها وفهمها . وغو نسيء
يحقن انهم لى بقر هرب - فى العائل
مدا كن نسيء - مشهد نسيء ' انه مفرون
لخيلكم طبعها فان لى نسيء نسيء ما حوز
قاصرة سخيمة

مر رجعت لسوراء و طقت تصدحه ربات

ركضت إلى باب المطبخ بينما الفحيح الغاضب
يطاربنى ..

قلبي يوشك على التوقف رعباً . ونو فعل لما
لمنه لحظة ..

الصالة .. لا ! أنا لا أعرف موضع الباب ..
ولو فعلت لاحتجت إلى وقت أطول من اللازم كي
أجد المزلاج .. لابد من العودة إلى عرفة الكرار
فالوثب من النافذة إلى الزقاق

تتبعني في كل لحظة باصرار غريب لا يمت
للشعر بصلة ..

هوب ! النافذة .. هوب ! الوثبة في الظلام ..
هوب ! سقطت على ذراعي وعلى كفي المفتوحة
بقوة غير عادية ، فشعرت بألم ممض يمزق
معصمي .. فيما بعد سأعرف أن هذا هو

الكسر المميز لهذا النوع من السقطات ، وستخذ
يدى منظر (شوكة الضياء) المحبب للنفس ..

كل هذا سيحدث وسأستمع به فيما بعد . أما
الآن فالوقت وقت الفرار .. الفرار ولا شيء سواه ..

٨ - لقد عاد حسام ..

لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..

لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..

لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..
لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام .. لقد عاد حسام ..

الرهيبه يصوبون مدافعهم نحوى .. توقعت أن
أرى محكمة وقاضيا مهيبا ومشفة ، كل هذا عند
مدخل الحارة .. لكن لم يحدث شيء .. إن العزال
العجوز عن الحياة العنمة ، جعلها من العجائز
اللواتي لا يكتشف موتهن دون راحة ..

كان عقلى مرهقا بالتفكير فى الطريقة التى
سينكشف بها لمرى .. بتطبع سيرف رجال الشرطة
كل شيء ، فلا أحد يستطيع خداعهم . ولى أن
أتصور كم مليون بصمة تركت ، وكم مليون
بطاقة شخصية سقطت من جيبى ، وكم مليون
ورقة تحمل اسمى هناك .. إن المسألة لن تتجاوز
بضع ساعات لكنى لشدة الغرابة راغب حقا فى
اتهاء الأمر .. ربما لا يكون سجن القنعة زخرا
بالأفغانى كهبتى هذا ..

وعلى الدرج قابلت (هيام) وأنا أفتح باب
شقتى .. يجب أن أقول هنا بنى كنت أتكلم وأنصرف

بتضبط كما كان (راسكونكوف) قتل العجوز في
(الجريمة والعقاب) رائعة (تسويفسكى) ..
لا تنسوا أن تقرأوها إن لم تكونوا فعلتم .

كانت عيناها منتفختين وبلا أهداب كتعادة ،
واردادت ضخامة ، لكن وجهها اشرق حين رأتني ،
وقالت :

- « أين أنت ؟ حسبت ما نسينا لم نشم
الرائحة ! »

مزحة لكنها في التصميم ' لن تسمى رائحتي
بلذات يا صغيرة ، لكنك ستشمين قريبا جدا روائح
أخرى .. قلت لها :

- « كنت عند بعض أصدقائي . كيف حثك ؟ »

- « بخير » - ثم اتجهت عيناها إلى ذراعي
المضمدة في الجبس - « .. سلامة ذراعتي ! »

- « سقطة من الحافلة .. دعك من هذا .. هل
أنت بخير حقاً ؟ »

- « لم أكن قط أفضل من هذا . فيما عدا أنك
لم تعد تبدي ميلاً نحوي .. إن الحب يبرد ككل
جسم سالحن » .

- « هذه هي النظرية الميكانيكية الحرارية ..
لكنها لا تنطبق على » .

كاذباً كنت .. في الحقيقة كان حبي يبرد إن لم
يكن قد تحول إلى جليد .. كنت أعلم أنها بدأت
تتحول إلى أفعى .. لو فكرت أمس أنني سأفكر في
شيء كهذا اليوم ، لاجهت بنفسى إلى مستشفى
الأمراض العقلية ، أما اليوم وبعد مواجهة أمس
التي لم تكن سارة قط ، فقد صرت على استعداد
لقبول أشياء كثيرة .. هل تم هذا التحول أم لم يتم ؟
هل سيتوقف بموت العجوز أم لا ؟ كلها أسئلة

بلا جوب - بكسى أعرف شيب و حدا أنا لم أعد
اطيق هذه الفتة بل واحدها حقا ..

هزت رأسها كأنما تقول - هذا هو حال الرجال ..
ثم همست :

- « لأن الدخول شققت لأسى ريد الحديث مع
تلميذة (رتيبة) . فلا يجب أن ترائنا معاً ! » .

كانت (هيم) تبدأ يومها يوماً بتسؤال عن
ارتية (. وما كان هذا حب نها قدر ما هو
مداينة نها لقاء لساتها السخط الذى ينثر
التأويل كما يثر الكذب المبل ماء استحمامه ..
وتلميذة (رتيبة) - كما لا انت نعم - هي العجوز
التي استقر بطنى فى صوعها - معنى هذا أن
سيرة قريبة . وفتحت دسى وأسعت ريقى ..

« طالب العلوم السر سئل لشقة العجوز
بقرص اسرقة » .. « الدكتور الفلسافى (كذا)

يكلمنا عن سبب انتشار الجريمة بين الشباب » .
« الدكتور (كذا) أستاذ علم الجريمة يحدثنا عن
للخلل الاجتماعى الذى أدى إلى . . . » على
الطريقة الروسية فعلها . وكما كتب (دستوفسكى)
فى (الجريمة والعقاب) « ..

لماذا لم أترك الدار ؟ لأن هذا بمثابة اعتراف
كامل .. على أن أظل حيث أنا ، وأبدي كثيراً من
الدهشة والذعر حين يجيء رجال الشرطة .. لن
يكون الأمر صعباً لأن من سيفتح باب العجوز
سيجد مشهداً بضوء كوابيسه للأبد . سيجدون
كائناتاً هو مزيج من الإنسان والنفق .. سيفهمون
لماذا فعلت ما فعلت ..

والاستحمام ؟

ماذا عن الاستحمام ؟ ليس افتتاح المنازل
مسموحاً به حتى لو كانت منازل مسوخ ..

لَسَوْفَ يَحْصِرُونَنِي بِأَسِنَّةٍ . وَلَسَوْفَ
يَرْغَمُونَنِي عَلَى تَكْرِيرِ نَفْسِهِ أَلْفَ مَرَّةٍ حَتَّى
أُرْتَكِبَ خَطَأً مَا ، وَعِنْدَهَا . وَأَنَا أَعْرِفُ نَفْسِي .
لَا تَتَقَصَّنِي سِوَى لَافِتَةٍ عَلَى جِئْنِي يَقُولُ : أَنَا
نَادِمٌ يَا سَادَةَ .. لَقَدْ فَعَلْتُهَا '

كنت واقفا وراء الباب غرقا في هذه الخواطر
السوداء ، حين سمعت الطرقات وصوت (هيام)
الرقيق يتساعل :

- « صباح الخير يا ختلة (رتيه) .. أسي تسألك
إن كنت تريدین شيئا من السوق في طريق
عودتي ؟ »

ثم الصوت الأجرس المميز يقول من وراء الباب :
- « عشت لي يا بنيتي الحقيقة هي أنني كنت
بحاجة إلى خبز .. خمسة أرغفة . وربما .. »
لحشدت قطرات العرق البارد على خيضي ، ومادت
الأرض تحت قدمي ..

الاحتمالات : أنا قد صرت مخرفا واتضمت
بلا جهد إلى عالم المجانين الساحر .. أو أن
لعجوز لم تمت وكانت تتحامل على نفسها وهي
تكنم (هيام) .. لماذا ؟ لا أدري ..

النتائج : لست متضارفا جدا لهذه النتيجة ،
فأنا لست قاتلا ولم أصر .. لكن ميعاد الفرار قد
جاء بون شك .. سأعود لقريتي وأصرح أبي بأنني
لم أعد أتحمل الغربة .. ربما أجد شقة أخرى مريحة
آمنة يملؤها البق - فقط - بعد انتهاء الموسم ..

هرعت كالمجانين .. أحزم حقائبي ، متحاشيا
للعابين المتتاثرة هنا وهناك ، حين سمعت طرقات
على باب الشقة ..

متوجسا بنوت من الباب وسألت (من ؟) بصوت
كالفحيح ..

- « إنه أنا .. (حسام) ! جارك ! »

فتحت الباب غير مصدق . كن هناك بشحمة
ولحمه ، ولم يختلف كثيرا ولم يذ لي كافي ..

صحت في ذهول وانا اوصد الباب :

- « أنت لم تمت ؟ ولم تسلك العجوز ؟ » .

ضحك في إتهاك وقال :

- « وهل ينبغي أن يحدث هذا ؟ »

- « حسب هذا تفسير احداث »

استند إلى الباب . وراح يترنح بعض الوقت كئيبا
يحب هذا ، وفي النهاية قال عثرته الرهيب :

- « كنت هاربيا . فقد ضعت للحدود . اضطرت

لهذا . لكني لم أستطع تحمل نتائج تصرفي .. وعدت
متوقفا كارثة . سمعتها تتكلم من وراء الباب مع
جارتنا الشابة .. إن ادعى لا تموت بسهولة كما
أظن .. »

بدت لي قصته ملثومة نوعا ولا أفرى السبب
يبدو أن كل من بالبيت صار يقضى وقت فرعه
في طعن العجوز والفرار . وهي تعمري هوية
غريبة بعض الشيء . قلت له

- « نفس ما حدث لي ولا أجد نه تفسير »

ثم تذكرت ما كان في ليلتي . عطيت له واد ارتجف
فرقا .

- « هل رايت ما رأيته انا ؟ ان المرأة تتحول
تكرينجيا إلى .. »

اتسعت عيناه من وراء رجاء عوينته اسميت
وقال مقاطعا :

- « إلى بوا عملاقة . أعرف هذا . كنت أتوقعه
لكن هذا يختلف عن رؤيته . واعتقد ان من طعن
المرأة لم يكن أنا بل هلع المجنون . إن المشهد
يوصفك لا شعوريا إلى حمة الجنون غير المسنول »

ثم نظر إلى ذراعى المصعدة ، وتساءل :

- « وذراعت .. هل لدغه ثعب .. »

- « سقطة من النافذة فى أثناء فرار مسرع
كأى لص .. »

وسلا صمت طويل قطعه بأن تساءلت :

- « ما الذى جعل نصل السكين ختف باب
الشقة ؟ المفترض أنه سقط منك فى مكان ما
بالداخل .. »

هز رأسه بمعنى أن هذه ترهات وقال :

- « لقد سقط منى بالداخل فعلا .. لابد أن
المرأة هى من وضعه هناك لتشد انتباهك .. »

- « وقد نجحت .. »

وجلسنا نفكر معا . لو كان صادقاً فمعنى هذا
أن لدينا لغزاً مخيفاً ينتظر فى الشقة السفلى ،

وهذا اللغز قد تعرض لمحاولتى قتل فى يوم
واحد ، وبرغم هذا لم يمت ، ولم يحدث ضوضاء ..
وهذا مخيف فى حد ذاته .. لقد صار الأمر يتمتع
بلا منطقية الكوابيس . وأنا أعرف شيئاً واحداً
هو أثنى أن أنتظر أكثر ..

كانت العاشرة صباحاً ، وأطياف الليل لا تبدو
بهذا الرعب ، لذا قررت أن أمضى ساعة أخرى
مع (حسام) ، قبل أن أتجه إلى موقف (أحمد
حلمى) - وقتها - لأستقل أول سيارة أجرة إلى
بلدتى ..

سيكون أبى فخوراً بى حقاً حين يعرف أثنى
هجرت للدراسة بسبب بعض ثعابين البوا العصرة ..

٩ - حكايات عن الثعابين ..

نعم يكن (حسام) ثعباناً مفترساً في هذا الحد .
لا أرى هل هو لطيف فعلاً ؟ أليس كل بحاجة
إلى أية صحبة بشرية غير شعس ربما هو
ذلك الدفء الشمسي الذي ما ان تسو منه حتى
تألفه وربما تشابه الظروف

وكانت قصة حياته هي تسيطر ذاتها : لقد
عاش في كل شيء جريه في حسه ، ولم يكن معه
من المال في أي وقت ما يسمح له بكثير من كوب
شاي غني المقهى . وربما شظرة فون من
(زيزو) ..

وكان مثلي مشحوناً بالاحاد والطموحت عسيرة
التحقيق ، لهذا جرب كل شيء ، وفي نهاية كل

يوم يقرر أن النجاح الحقيقي سيكون غداً

هذا إذن من الأشخاص الذين يبدعون يومهم
شعراء ، ثم يملون هذا عند الظهر فيتحولون إلى
مخترعين .. فقط ليكتشفوا عند المساء أنهم أدباء ،
وقبل النوم يضعون لأنفسهم عشرات الخطط
مستحيلة التحقيق للغد ، بدءاً بأجادة اللغة الفرنسية
وانتهاء بالإقلاع عن التدخين .

المشكلة هي أنه من المبطلين بجذوة النفسون .
لكنه يحترق بها فقط ولا يملكها .. انه يعيش
ويفعل ويقول كل ما يفعله ويقوله أي فنان
بوهيمي ، لكنه لا يملك أية موهبه ، وفي هذه
النقطة أنا أفضل منه . ان أعرف حدودي جيداً
ولا أتجاوزها .. وأعرف أن أول درسي هو مدرس
علوم في مدرسة إعدادية وأخره - لو تفوقت في
الدراسة - هو أسناذ عن الحيوان في الكنية . لن

أحيد عن هذا الدرب سواء بلغت نهيته أو ظلمت
في لوله ..

أعدت له بعض الشاي ثم سأله

- « ما زلت لا أفهم لماذا بدأ شكك بالعجوز
بالذات ؟ »

قال وهو يرشف أول رشفة في سهم .

- « شفاف .. لا تتم أنى قرأ الكثير من كتب
السحر ، وأعرف جيداً سمات من يمارسونه ..
ربما نختلف حول حقيقة السحر ، لكن الحقيقة
المؤكدّة هي أن ملامح ممارسيه وأساليب حياتهم
تتغير ، وعلى سبيل المثال يقال إن هناك شامات
معينة تظهر على جبين من يتعاملون مع الجان . »

جلست جواره ورحت أمام المكان .. كان
ثعبان صغير وديع يرمقنا من فوق خزانة الكتب
التي تبعد بضعة أمتار ، وحظر لى أنه من الغريب
أننى لم ألدغ بعد وسط كل هذا لزحام ..

سأله :

- « إن أية امرأة عجوز غريبة الأطوار يمكن أن
يتهمها الناس بأنها ساحرة ، حتى لو كانت بريئة ..
ليس هذا دليلاً على شيء .. ألا ترى هذا ؟ »

بدأ الغيظ على وجهه وقال :

- « وتقول إنك رأيت الأهوال في شقتها أمس ؟
إن العجائز البرينات لا يزحفن في شققهن ليلاً
وبيضن بيض ثعابين .. »

- « لم أنكر أنها تتحول أو تحولت .. لكنى
أشك في كونها هي سبب شقتها » .

قال مفكراً :

- « شششفف ! لقد وجدت لدى المرأة كتب
سحر حقيقية .. كتب سحر عتيقة يبدو أنها شيء
تم توارثه من أجيال ، كما وجدت هذه الأشياء » .

ومد يده إلى جيبه ففتح فيه ما حلى الخرجه .
تراجعت ثلثاء متوقفة كرسية على دأمر لم يكن
كهذا .. مجرد قطعة من بردية فرعونية قديمة
ممرقة يبدو أنها أصالة وعهدت لرسوم
والخراشيش الماثوفة

صحت في رعب :

- هذه تبردية ثروة حنيفة تبث لك لأن
تقحمنا في قضية سرقة السر ..

- « كف عن السحف .. لم اسرقها من
مقبرة في الأقصر ، لكن من شقة العجوز ،
وكنت أحول فهم ما تفكر فيه هذه ثمرة وما تعيش
من أجله . أنا لا أفهم حرف من الموجود هنا
نكني وجدت عددا هائلا من رسوم الشعبين ..
يبدو أن هذه التبردية تلخص عدم شعابين عند
الفراعنة كما أنني وجدت رمز معين يبدو

مكتوبا .. إن هذا الاسم الموضوع فيما يشبه
الخرطوشة مكتوب لدى بنقوشه .. هل ترى هذا ؟ »
وضع الكوب الفارغ جانباً وراح يلوك بقايا
نشاى بين أسنانه (وهى عادة قذرة لا أضيها)
وامتد إصبعه - منمخ الظفر - يشير إلى أحد
الرموز فى البردية ، وقال :

- « إنه يدعى (واجيت) .. »

- « (واجت) ؟ »

هز رأسه مصححاً نطقى وكأته (سيويه)
أو أحد أساتذة القراءات :

- « ليس بالجيم القاهرية بل الجيم المعطشة
الفصحى .. لا بد من نطق جزء من حرف الدال
قبل الجيم .. وا .. دجت .. وا .. دجت »

- « وما معنى هذا ؟ »

نظر إلى ساعته ولم يرد على السؤال ، وقال :
- « الآن لا يوجد واحد من الطلبة إياهم في
غرفته .. كلهم في المعهد لان . إن مفتاحهم
معي .. »

- « ولماذا يعطونك مفتاح شقتهم ؟ »

- « لم يفعلوا . أنا سرقته إذ سقط من أحدهم
على الدرج منذ أسبوع ، وهم مهملون لم يحفظوا
باستبدال قفل الباب على أساس أن المفتاح ضاع
بعيداً .. حيث لا يحفل به أحد .. »

- « وهل أنت معتد على سرقة أى مفتاح
تجده ؟ »

- « فقط مع سكن هذه البناية المشنومة ..
أنا بحاجة إلى حرية الحركة حرية الدخول إلى
كل مكان .. أريد أن أعرف .. »

وقفنا على باب شقة الطلاب ونظرت حولي
مذعوراً متوقفاً أن تهوى الصواعق لتحرقنا ..
افتحام بيوت في غيبة أصحابها .. هذا ما كان
ينقصني لتكتمل الصورة .. ورحت أرمق هذا
المجنون يعالج القفل بمفتاحه حتى لفتح الباب .
وكان من الأبواب غير ذات (لتكثون) ولكنه يعتمد
تماماً على قفل و (رزة) .. لنفرض جدلاً أن أحد
هؤلاء للطلاب كمن مصاباً بإسهال وأنه عاد من
معهد في هذا الوقت غير المبكر كي ..

وفي الداخل كانت الشقة عارية من الأثاث
تقريباً ، وإن لم تكن عارية من الأثرية ..

في ثقة - كأنه ابن الدار - مثنى المحاسب في
للصالة قاصداً لول حجرة على اليمين ، وفتح الباب
ولقى نظرة بينما أنا وراءه أقول كلمات مختلطة من
طرز (فلنرحل - لا تفعل - يكفي هذا) .. لم يفتني
أن ألاحظ أن الشقة كانت نظيفة من الشعابين تماماً

وهو شيء غريب في شفتي يمكن أن تراه
يمكن أن تراها على الباب وفي الصالة الضيقة ،
ووراء كل قطعة أثاث كس شفتي إحدى الغرف
الأمثرون ..

دخل الغرفة ولم يكن فيها الكثير . يوجد جهاز
كاسيت عملاق مما يعشقه بدءا لقرية . وبعض
الكتب الدراسية المنقذة في مهال وكراهية .
وعلى الحائط صورة لـ (فريد الاطرش) يمسك
بالعود وعينه تحلمن بـأثريع الذي عاد والفجر
هلت أنواره ..

راح (حسام) يقب بين كتب . ثم رفع حشية
انفراش وألقى نظرة ، ودون كلمة أخرى غادر
الغرفة قاصدا واحدة أخرى من جديد تبعه
فرايته يقلب الكتب ويفتح حرارة عتيقة ليلقي
نظرة . ثم هز رأسه وابتعد لعش الحمام .

انتظرتة في هلع وأنا أقوم نفسي على تهوري
بعد ثوان عاد وهو يحمل ما يشبه كيس فراغ من
البلاستيك . وقال وهو يرفعه لأراه بوضوح :
- « جند شعبان . إن الجند خشن يأتى كل صباح

لمهمة كهذه ! »

صحت في رعب :

- « هل تعنى أنهم يحولون إلى شعبان . وبرغم
هذا يذهبون إلى معهدهم للدراسة ؟ »
دخل الحمام ليعيد الجند وقتل :

- « وماذا فى ذلك ؟ إن التحول بطيء ويمكن
لأقوى الناس ملاحظة أن يحسب هذه التغيرات
خداع نظر .. أو مجرد تبدل لورى فى الشكل
إن لنا أياما نكون أقبح فيها أو أكثر تورما . كنت
كذلك بلا استثناء .. »

جارتى الحسناء التى لم تبد حسناء فى هذا
الوقت بعينها للمتفحّتين اللّتين لم تظفرا بنوم
كاف .. لعلها الثعابين ؟! ولاحظت أنها ازددت
بدانة فى الآونة الأخيرة .. تباً ! أنا لا أطيق
البداقة ..

سألته ونحن نتجه إلى باب الشقة :

- « هل لى أن أفهم ما كنت تقصده من هذه
المغامرة ! »

أغلق الباب وأعدا القفل إلى مكانه وقتل لاهثا :

- « الدليل .. الدليل على أنه لا توجد عندهم
ثعابين ولا برديات ولا كتب سحر .. من جديد
أقول إن الشقة الوحيدة التى تحوى كتب سحر
وبرديات هى شقة العجوز .. نحن لم ندخل شقة
الموظف بعد ، ولن نستطيع هذا ، نكنى أستطيع
الجزم بأنها لا تحوى ثعابين ولا كتباً »



و نظرت فى هلع وأنا لود نفسي على سجد
بعد أن عد وهو يحمل ما يسمه كتاب سحر من تحت

وابتعدنا عن الثقة حتى صرنا في دائرة
الأمان التي تقع خارج دائرة تشبهات ،
وأردف .

- « هذه اتبانية تحوى ثلاثة أنواع من البشر :
الأبرياء الذين لم يتضرروا - عوا بعد وهؤلاء
تعج شفقهم بالشعابين .. »

- « مثلي أنا وأنت .. »

- « والأبرياء الذين تضرروا وذهبوا يتحولون ،
وهؤلاء تخنوا شفقهم من أي شيء - ثم الفاعل
الأصنى وتوجد في شفق كعب سحر مريبة
وبرديات .. أنا لا أعرف متى ننقل من القائمة
الأولى إلى الثانية ، وهم ينقل إلى الثالثة أم لا ..
لكنني أعرف أن مواعيد ت لا ريب ، وإن علينا
أن نفعل شيئا »

قنت له في نقد صبر .

- « الشيء الوحيد الممكن هو الرحيم أنت
سأكون في قرينتي بعد ساعات .. »

نظر لي مفكرا ثم قل :

- « لن تستطيع .. سأقول لك السبب . »

١٠ - واجيت وأشياء أخرى ..

قال (حسام) فى هدوء . ونحن جالسان فى
مقهى قريب :

- « نحن لا نعرف ما حدث للمرأة . هل حقاً
هى منيعة إلى درجة أن تتحمل طعنتنا مغا
ولا تموت ؟ حتى ثعابين السوا تموت بالطعن كل
شئء حتى يموت بالطعن . وما أخشاه أن نكون
قد نجحنا بون أن نعرف . أن تكون العجوز الآن
فى مرحلة الاحتضار البضوء وتكمل . والان
لو ماتت المرأة ووجدوها غد مطعونة . ونوجد
رجال الشرطة أنك غادرت شفتك ليوم فى ظروف
مجهولة ، واختفيت .. عندها ماذا تستتج أنت
لو كنت معاون المباحث ؟ »

ودنا بوجهه المنفر من وجهى وكرر السؤال :

- « هه ؟ ماذا تستتج لو كنت معاون
المباحث ؟ »

فكرت فى كلامه وبدأ لى منطقته لا بأس به :

- « سيكون هذا دليلاً دامغاً ضدى .. »

- « بالضبط . وعندها سيجدون بصماتك فى كل
مكان فى شقتها .. والقصة بعد هذا سهلة .
الطالب الفاشل الذى قتل العجوز لسرقته . ربما
بمساعنتى أيضاً » .

رحت أحك رأسى عاجزاً عن تصديق أننى حقاً
لا أستطيع الفرار من هنا .. قلت معترضاً :

- « وأى فارق سيحدث لو ماتت المرأة وأنا
مازلت هنا ؟ إن الدليل واحد فى الحالتين .. »

قال باسمًا :

- « لا لا .. سنعرف قبل رجل الشرطة ،
ولمؤوف يستل الى الشقة وحرر ثوبه ، ثم
تأتى الشرطة لتجذبا رئيس نعم نعم نفر ؟
ببساطة لأن لم نفعل ما يسوحد القرار . »

- « تريد القول إن على اللقاء شره أخرى ؟ »
.. « نعم .. ربما لمدة يومين على أكثر .. لو
ظلت المحور ترد على فرعت الباب ، فمن المؤكد
أنها نحت من هجومنا وسكب القرار وقتها .
فقط بعد هذا وليس قبله .. »

رحبت أرمق وجهه عذر عن قول شيء مفيد ..

كان هذا هو عصر اليوم ذاته ..

صعدنا فى الدرج ، وعلى السطح كانت الشمس
تفتش الأرضية ، باعثة انعكاسات رقيقة على
جنود الضاعى إياها .. وسنة عن اسوا التى كانت

تسد الطريق إلى غرفته ، فمط شفته السفلى
بمضى أنه لا يعرف ..

وفى غرفته استطاع ان يعد بعض التعاسين
ركلا حتى يجد مكتبا نجس فيه ، ومن الغرب
أننى بعد كل ما رأيت ثم أعد أهاب هذه الكائنات
إلى هذا الحد . انقطع من الشعبين هم البتير
الذين يتحولون إلى ثعابين ..

وتأملت الثعابين التى أراحها بقدمه . ثعبان
الجرس .. ثعبان امرجان كوبرا اتواء فى
منتهى الخطورة .. ما هذا الكلبوس الذى نحب
وننالم فيه ؟

سألته وقد قررت أن أنعم شيئا و شيئين
إننى طيب كلية الغوء ، لكنه هو الخير المدفق .
- « كيف يقتل سم الثعبان ؟ »
قال لى وهو يشعل نفقة تبغ :

- « هذا يختلف حسب (موبيل) الثعابين ..
 الثعابين الأصلية Elapids يدمر سمها الجهاز
 العصبي ، ويؤدي لشلل الحجاب الحاجز وعضلات
 التنفس فالاختناق .. الامناعى Vipers يقتل سمها
 عن طريق تدمير الأوعية الدموية وتهشم الكريات
 احمرء مما يؤدي لغسل الكلى وتصدمة ..
 الثعابين البحرية سمها يدمر بعضات لا تحدث
 هنا طبعا عن الأصلات والوا التي تغل فرائصها
 عن طريق العصر فالابتلاع ،

- « ما شاء الله ! »

قل لى فى إلحاح :

- « الموضوع هو أن شرور هذا البيت تبدأ كلها
 من شقة العجوز ، وعيننا ان نلحمها شتية »

- « أما هذا فلا .. لقد اذعيت من المفامرات
 والتسلل ، ولسوف أسكن فى قريتي فى حضان
 لى بعد يومين أو أقل !! »

الغريب أن موقف (أحمد حلمى) صار بالنسبة
 لى حلما قصيا جميلاً .. صار كوبا من الماء أبارد
 لتنفس صدية فى حر أغسطس .. صار ك (ديزنى
 لاند) .. لا .. لا .. أكثر من هذا .. ربما أصفه
 بـ (موقف الميعاد) .. (جوى) الذى تنتظره فى شوق
 ولا يجىء أبداً ، على رأى الكتب العبثى (بيكيت) ..
 عاد يحكى لى منطقته الذى يدعونى إلى الانتظر ..
 فى النهاية ابتسم ابتسامة غامضة وقال :

- « لقد قرأنا على البردية لفظة (واجيت) .

هل تذكر هذا ؟ »

- « أنا لم أقرأ شيئاً .. أنت قلت »

حك رأسه مفكراً ثم قرر أن يحكى لى المزيد
 مما يعرف :

دعنى أحك لك قصة مثيرة تعود إلى زمن
 محبى .. أنت تعرف مدى اهتمام الفراعنة

بالأفاعى وخشيتهم منها . عطفة الفراغة
 نحو تلك الزواحف معقدة جدا . هي مزيج من
 التقديس والخوف والحب . كل هناك كهنة
 شعابين متخصصون . وقد لاحظ الفراعنة أنه
 يمكنهم تقسيم الشعابين إلى أنواع شعابين طيبة
 كريمة المنبت ، مثل الكور (رع - رنتوت)
 سيدة مخازن الحبوب ، وشعابين قوية شراسة
 لا يمكن مواجهتها مثل الشعاب أبو بيس الذى
 هاجم سفينة (رع) فى أسطيرت الفراغة . وفى
 صخور طيبة كانت الأفعى (مسحر) التى أحبها
 الأهالى .. بل ان الفراعنة عبروا عن مفهوم
 انقدر ذاته - كما نفهمه نحن - فى صورة أفعى ..
 لكن أقوى الأفاعى طر كانت هى (واحيت) ملكة
 مصر السفلى ، ولتى نسحت عنها سحطير لا تنتهى ،
 منها أنها تحرس كتب السحر الأعظم . كانت هذه
 عقيدة توارثها الكهان ، ليست ما تم تقرض ،

أو اقترضت لكن هناك من حاول احياءها من
 جديد .. »

وابتسم وأضاف :

- « لابد من ان هذا يقرع جرسنا ما نديك
 نحن فى بداية نوح بالشعابين ويتحول سكتها إلى
 شعابين . ثم نجد لدى العجوز التى تعيش وحيدة
 بردية تتحدث عن (واجيت) بالذات فما معنى
 هذا ؟

- « تريد القول ان العجوز فى الحقيقة من
 كاهنات (واجيت) ؟ يبدو لى هذا غريبا »

- « لم لا ؟ إنها تمضى الوقت عاطلة وحيدة
 تقرأ كتب السحر من الطبيعى أن يختل توزيعها
 العقلى .. »

كتمت التعليق الطبيعى فى نفسى ومعه كتمت
 ابتسامه .. أعرف واحدا آخر عاطلا وحيدا يقر

كتب السحر ، ومن الوصح أنه بدوره مختل
العقل .. غريب أمر الإنسان حقاً .. إن عيوبنا
ككشافات سيارة نركبها لا ندرك أننا نحن أيضاً بينما
هي تضيء عيون الآخرين الذين يملكونها .. وبالمثل
نحن نرى كشافاتهم - أو عيوبهم - بوضوح تام
قد يدفعنا إلى مطابقتهم بتحيضهم قليلاً ..

وهنا - لا أدرى المسبب - راحت لقطت خاطفة
ك (فلاش باك) السينمائي نصير في ذهني .

كان الإفتحام جد سهراً ، وهو ما كان يجب أن
يشير ريتي فلا بد أن العجز قد أحكمت تحصين
نافنتها بعد مغامرة أليس ..

غبار كثير .. برص يسقط من مكان ما ..

يا للقدرة !

على الأرض طبقة كثيفة من الغبار كما في أية
مقبرة فرعونية يكتشفها الأخ (كارتر) ..

قال (حسام) مواصلاً كلامه ، فهو باتطع لم
يسمع ما دار في رأسي :

- « بل الحق هو ما أقول والهدف هو إنشاء
مجتمع من الثعابين يبدأ من هنا . من هذه
البنية بالذات .. لقد تحول أكثر سكن البناية
بالفعل ، بالإضافة إلى ما نكابه أنا وتنت من أفاع
في بيتينا .. إن الأمر جلي واضح فلا تتذات على ،
ولا تلعب دور رجل العقل المتقشف الذي لا تهزه
القرهات » .

هكذا إذن ؟ لقد بدأت أفهم .. قلت له وأنا
أنهض وأراجع ثوراء خطوتين :
- « نظرية متكمنة لا بأس بها ولي إضافة
أخرى عليها .. »

- « مثل ؟ »

- « مثل كونك أنت منكر هذا لا العجوز ،
التي هي ضحية أخرى !! »

تراجع ثوراء وصاح في نهضة من أهين :

- « أي مخف !! »

قلت وأنا أتجه نسيب منور قضيتي المسليمة
تأهباً للفتك به :

- « بل هذا مصفى سعيه أنت توحيد الذي
لم تبت عليه علامات السحور بعث مع كل هذه
ثعابين السمامة ويرتدع هذا لا تدعك ، بل
وتبعدها بقدمك دون أن تنفق ونسب تحشت » .

- « وماذا في ذلك ؟ من السلام يطبق عليك
على ما أظن .. »

- « لكن ثعابينك أخطر بمراحل من ثعابيني .
كيف يعقل أن تعيش كل هذه الفترة مع الكوبرا
التي تبصق سمها في العيون ، وتظل سالماً ؟
حين تذكرت منظر الغرفة في شقة العجوز أركبت
بوضوح تام أنك كاذب وأنت لم تدخلها قط ، وأن
نصل السيف تحت الباب كان مجرد حيلة لجذبي
بدوري .. الغرفة كنت حين دخلت لها مليئة بالغبار
كقبر (سنوسرت الأول) .. لا أثار أقدام على
الإطلاق .. كان هناك برص على مصراع النافذة
وأطنان من التربة وعناكب .. هذه أشياء لا يمكن
أن تظل هناك بينما دخلت أنت قبلي في اليوم ذاته ..
كان المصراع ليس سهلاً ولا يتفق مع محاولة
اقتحام طازجة .. كنت تكذب طبعاً .. أنت لم تدخل
الشقة ولم تطعن العجوز .. وأنت الوحيد الذي له
علاقة بكتب السحر ها هنا .. لا أدري إن كانت
قصتك عن (واجيت) هذه صحيحة ، لكني

١١- أنت عرفت !

ولم أتوقع السرعة التي كل بها لكمة إلى أنفى ،
حتى إننى سقطت للوراء بعدما اندفعت متراً .. كنت
أتوقع نوعاً من الحوار المراءوغ .. نوعاً من الإنكار ..
نوعاً من التلاعب بى .. ليس بهذه السرعة ..

وحين فهمت ما يحدث ، كان الدم يغمر أسفل
وجهى .. وشعرت كأن أنفى قد تحركت ، لأعلى
لتمزق نسيج المخ .. هل هذا ممكن ؟ آوى ! فى
اللحظة التالية هوى شىء ثقيل على راسى ..

وحين فتحت عيني ، كنت راقداً على الأرض
فى شقة ليست شقتى ، لكنها مأتوفة لى بظلامها
وقذارتها ورائحتها العظنة .. وكان (حسام) - لو

أعرف أن البردية خاصة بك ، وأن العجوز لم
تكن تملك كتب سحر . ترى ، ما هى أنعوبتك ؟ »

.. هله !!

كان هذا اسمه حقاً - يسهى من عملية جرى
من ساقى على الأرض ..

كان يلهث من فرط المجهود - فأنا أضخم منه
جسداً - لكنه سعيد راض ..

- « هل فقت ؟ عظيم ! اغر لي خشونتي ، فقلت
قد صممت على أن تظن عني للنهاية ، ولم تعد
الحيل قادرة على جعلك تجيء ها ! »

تحسست رأسي ، وبوهن تسدعت :

- « أين أنا ؟ »

- « في شقة صاحبة المنزل طفا .. ألم تزرها
أليس ؟ »

وتتهد وأمسك بظهره متانما

- « أي ! يا للمجهود ! »

- « لماذا لم تقنني أصلاً ؟ »

- « كنت أتمنى هذا للأسف .. لكن البوا
لا تنتهم فريسة مينة ^٩ وتسبب ذاته لم أقيذك
أو أخذك .. والآن وداعاً ! »

حاولت النهوض مرتين ، لكنني كنت أسقط في
كل مرة ، فصحت غير فاهم :

- « ما معنى هذا ؟ »

- « لقد تحولت العجوز إلى بوا عاصرة .

إنها أجمل أعمالى الفنية .. وقد نضجت البوا

نضجت جداً ولم تعد الفئران كافية لإطعامها

هذه هي المشكلة الدائمة التى تطاردنى .. لكننا

قادرة على ابتلاعك دون شك ، ولتكن وجبة

دسمة تكفيها شهراً . ستري أية روعة فى هذه

العملية .. إن عظام فكيها متحركة تسمح لها

بابتلاع فريسة تفوق حجم رأسها بمراحل .. ولو

طال الابتلاع يمكنها دائماً أن تخرج قصبتها

الهوائية من تحت جسدك . لتستشيق الهواء
مباشرة فلا تختنق ' ' يا نكتن الرائع ' «

- « لماذا لم تبدأ تحويلي إلى شعب بدوري ؟ »

- « إنها عملية معقدة تحتاج إلى وقت . تحتاج
إلى كثير من التعويذات على باب شقتك وسوائيل
كثيرة من تحته .. تحتاج إلى حيلة تشرب بها
الترياق .. أما الآن فالحاجة ماسة إلى إطعام هذه
الأفواه .. إن من لا يستحق شرف التحول للشعبان
يصلح بالتاكيد فريسة . وأنت لا تستحق الشعبانية ! »

- « هل تعني أن كل هذه النعمة كان الغرض
منها جعلي أدخل هذه الشقة ؟ »

- « طبعا .. تدخلها حرا غير مكبل وبكامل
وعيك ، وإلا لن تأكل البوا شيئا . كنت أعرف
أنك ستسئل إلى الشقة أمس . لكن فشلت الحمقاء
في اللحاق بك ، إلا أن الفرصة متاحة اليوم ! »

- « إذن أنا لم أقتلها أمس حقاً .. »

- « أنت تحتاج لضربات أقوى وأكثر كي تقتل
شعبانا ضخماً بلقفا كهذه !! »

- « وكيف تدخل أنت الشقة وتخرج منها ؟ »

- « أدخلها بمفتاحها ومن بابها كأي مواطن
محترم .. إبنى أدخل وأخرج من أية شقة في هذه
البنية ، لأن جميع السكان صاروا ملوكاً خالصاً لي ..
أنا سيد الشعبين وحارسها ! »

ثم صاح في مرج :

- « تذكر ! قاوم بشراسة ولا تتبع حياتك سهلة ..
إن مقاومة الفريسة تمنح البوا العاصرة لذة
غامرة .. هكذا تمنحها شعوراً بالإجاز ! »

وهز رأسه محيياً وابتعد ، وفي الوقت المناسب
قبل أن أغالب الدوار وألحق به .. وفي اللحظة

الساعة وجذنتى فى اسفله وحذر من الواضح
انه خرج عبر باب السفة . وأشعه وراءه .. ترى
كم الساعة الآن " لاشيء يصيغى مثل اختلال
ساعتى البيولوجية . هذا يريد من حالة الدوار
لدى . ويجعطنى على شفا سرى و فقدان الوعي .
هل هو نهار أم ليل " به " يريد ان أستعيد
توازنى . لست طبيباً لكى اعقد انى أعالى
ارتجاجاً مخيئاً شديداً . كمة كهده التى تلقيتها
يموتون بها فى مارسات المحكمة

نهضت على قدمين من عجز . فاستندت إلى
الحدار . كل هذا كانوس كاس لن لست أن
ينتهى .. نكن صوت الفحيح العنصب جعطنى
أعرف أن كل هذا حقفى عفى الباطن
لايسنطيع اختراع فحيح كهـ

يجب أن اشعر براـ يجب أن أضل هذا

المسخ .. لكن كيف السبيل إلى المطبخ وآت
لاعرف مكانها بالضبط ؟ وهنا جاءت الإجابة ..
كانت فى الصالة تواصل زحفها . وبنفس
الطريقة الشاذة التى رأيتها أمس ، كانت ليس لها
ساقان ..

الحميل فى طريقة الموت الغريبة هذه . هى
انه ما من جثث يجب اخلاص منها . ولن يبقى
منى سوى حذاء أو خرقة ثياب . ولن يعرف احد
أبدا حقيقة ما حدث ..

لا بد من سلاح .. لا بد ..

كان المسخ يواصل تقدمه فى الصالة ببطء .
بإصرار .. والراس يتأرجح يمينا ويساراً .. حتى
فى دنيا الثعابين لن يكون لها مستقبل . إنها
ثعبان ممسوخ يثير للنقر لدى أى ثعبان محترم ..
ترى ماذا كان حالى سيغدو لو كانت هذه أفعى
حقيقية ؟ بالتأكيد كان رعبى ليقل نوعاً ..

هرعت إلى النافذة الموصدة . ورحلت أعالج
مصراعها كالمجنون بيد واحدة . كن وتد رفيع من
الخشب قد تم تثبيته على سبيل تدعيم المصراع
لكنى انتزعه ، وفي النهاية استسلم المصراع لى ،
واستطعت أن أفتح الشيش . كد نور الغروب
الخارجى العذب يجد طريقه إلى الداخل ، ولكن فى
اللحظة التالية شعرت بشيء قوى ينتف حول
خصرى ، ويسقطنى إلى الوراء

وسقطت أرضا وحاولت أن أصرخ . لكن الهواء
لم يتسلل إلى رنتى أصلاً .. كان الضغط هائلاً ..
واستطعت الآن أن أثبت ما يمسك بى .. لقد
تحولت المرأة تماماً لكن رأسها ما زال بشرياً ،
وإن اكتسب بشاعة جديدة . استقال
جسدها إلى ما يقرب الخمسة الأمتار لكن ثلاثة
منها كانت تلتف الآن حولى ، وتزيد من قوة
الالتفاف .. ولاحظت أن الذراعين قد ضمرا



وبكى فى اللحظة التالية شعرت بشيء قوى يلف
حول خصرى ، ويسقطنى إلى الوراء

تماما .. ربما تحولوا الى مهمارس الذين يميزان
الأصلاط والبولادى عماء لروح

الآن يفتح الفم يفتح شئ حد لا يصدق .
وأرى اتسمان المشقوق والنعوم الشبيه
بفتحة مغارة حمراء منسأة رباه
لماذا لم تتحول إلى ثعلب سمى كان هذا أفضل
وأسرع ..

فى اللحظة التالية فنصب يدي السنيمة على
شئ .. والشئ كان قطعة خشب الوادية التى
انتزعتها من التافاة . كدت عر مدينة لكنهم
تصلح بالتأكد . ودون تغيير أوجنها بعمق فى
خلق الأقوى ..

وتذكرت قصة الصب الذى حاول الثعبان
ابتلاعه . لكن الضب اعصر فرع شجرة بين فكليه .
ليشكن عائقا يمنع الثعبان من تمتد المهمة أين

قرأت هذه القصة ؟ أين ؟ أشياء غريبة يتنكرها
المرء وهو فى قبضة ثعبان ..

رباه ! لابد أن الضرر كان بالغاً .. لقد تراخت
القبضة العاصرة عن خصرى .. ثم بدأت تقلصات
مربعة فى الجسد بأكمله .. من جديد اتبثق دم
التخوف من العينين والفم .. وبعد دقائق بدا لى
أن الأمر قد انتهى بالتأكد ..

حمد الشئ المربع ..

وجلس على الأرض فلهث بضع دقائق .. يبدو
أننى بكيت كذلك من فرط انفعالى ..

نهضت .. وتزمت أن أفتح النافذة لألب منها
إلى خارج هذا المنزل المشنوم .. وكدت أفعل لولا
أن سمعت من يصيح فى جزع :

« السيدة (رتيبة) أنت قتلتها ! »

كان شعاع شمس خبير نساب قد تسرب إلى
الحجرة ، لكننى لم أخرج إلى صوء كي اعرف من
القادم .. هذه (هرام) ..

كنت واقفة عند باب الغرفة ، نظرت فيها محولة
كتمان صرخة أخرى ، ولا أرى متى دخلت
ولا كيف .. لكنها جاءت فى لحظة غير ملائمة
بالتأكيد ..

وبدأت تتقدم ببطء ، وفى عينيها نظرة اتهام
دامعة ، وهما لا تبرح الحلة

قلت وأنا أنهض راجفاً :

« كيف دخلت هنا يا (هرام) ؟ »

« كان الباب مفتوحاً .. وخذت أن يكون
ما حدث قد حدث .. ليتنى مت ولم أر هذا
المشهد !! »

ابتلعت ريقى وتراجعت للوراء ، وقتت :

« ما دام الأمر كذلك .. ألا تجدين أنها لم
تعد هى المرأة التى عرفتها ؟ لقد تحولت إلى
ثعبان ، ولم يكن مناص من القتل . »

« ماذا تعنى ؟ »

ماذا أعنى ؟ نظرت إلى الأرض إلى حيث كانت
جثة ثعبان يصل طولها إلى خمسة أمتار : فلم
أر إلا امرأة عجوزاً ميتة ! إننى فى مأزق
حقيقى .. لقد أدى موت المرأة إلى رجوعها
لطبيعتها ، كما يحدث فى السينما عندما يموت
المدعوون .. أنا لم أر السينما قط لكنى أعرف

١٢- الحمقى يعودون دائما ..

« عسى أن يقبض أفعوان على أفعوان ،
عندما يجد فرس النهر الصغير نفسه مغروسا في
الأرض الطينية . أينها الأرض . ابتلعى ثنية
ما خرج منك ! »

تعويذة مصرية قديمة لاتقاء خطر أفعى (سيبا)

وقالت (هيام) وهي تمد يدها نحوى بقطة
من قماش :

- « اسمع فيها النقص .. أنا لن أسمعك على هذا
أبدا .. لكننى لن أتكلم .. هم أغلق هذه النافذة
وتخلص من بصماتك ، ثم غادر هذا المنزل . »

هذا المشهد جيدا . سيكون عسيرا بعض الشيء
لن نقصر لماذا دمست وتدا حشيبا فى خلق هذه
العجوز المسالمة

يا له من ملهى !

استطعت أن أرى الضمة الأربعة جيرانى .. وأبا
(هيام) الموظف المحترم ..

تراجعت للوراء متوقع الأسوأ ، وصحبت فى
عصبية .

- « لا أريد أن يعرض طريقى لحد قاتلت
قاتلا .. لا أريد للمزيد من الدماء ! »

قال الأب - وهو بطبيعة الحال أكثرهم قدرة
على التعقل والهدوء :

- « لو حاولت أن تتعقل - بنى ، فسوف تجد
أن العصبية لن تقودك إلى أى مكان .. لا مهرب
من هنا .. لا مهرب .. »

كنت قلقاً من جهة ظهري ترى أين (هيام)
الآن ؟ بالطبع تزحف ببطء ششب انيابها فى
عنقى .. أريد سلاحاً . ولكن لا السلاح يعنى
المزيد من القتل .. بينما لا يستحق القتل من كل

هؤلاء إلا واحد .. محاسب اسمه (حسام)
مازال يأمل أن تحكم (واجب) .

وميزت على الفور هذه الوقفة المنتصبة لدى
أحد الطلاب . ميزت الأسلوب الذى أرجع به رأسه
إلى الوراء ونفث صدره . ميزت النظرة الشريرة
فى عينيه . واتحدث فى الوقت المناسب تمام
لينطلق رشاش السم عابراً الصالة . يقطع مسافة
خمس أمتار ويمر فوق رأسى . ثم يصطدم بالجدار
خلفى ويسيل على الأرض ، ونو لاسنى لأصابنى
لعمري حالاً . ربما كان العمى مؤقتاً ، لكنه يعطيهم
الفرصة الكاملة للظفر بى ..

هذا الفتى يلعب دور الكوبرا النشرة إذن ..
فقيم تخصص الباقون ؟

قال الأب للفتى بنفس الطريقة المتزنة
- « لا تتدفع يا (حامد) .. إن هذا الفتى مهذب
ولسوف يقتنع بالمنطق بعد قليل .. »

قلت وأنا أبحث بعيني عن شعرة في صفوفهم :

- « لن نقضى لأنه لا منطق هناك . »

- « نحن نعرف أنك قتلت المسيدة (رتيبة)

وبرغم هذا نحاول أن نتفاهم معك . »

- « بل هو الاتهام كما أرى . أنتم بحاجة

إلى وجبة دسمة .. لا أكثر ولا أقل . »

- « لو هدأت قليلاً لصفوف .. »

وقبل أن يكمل كلامه انطلقت سافى في ركنة

إلى أقرب الفتية ، وقد ظلت أنيابه الطويلة في

ذاكرتي دهوراً .. وفيما بعد عرفته بهبع دور حية

(الجابون) .. أطول أنيب في ديا الأفاعي ..

ومررت من تحت راس الأب الذي بدأ في

الفحيح . وبحثت عن الباب الباب . أين الباب

حين تريد واحداً ؟ وهنا وجدت حدهم يقف ساداً

المدخل وهو يطلق فحيحه الشرير

اتفتح الباب وظهرت الزوجة . أم (هيام) ..

كنت تصرخ في همسيرا .. وصاحت وهي تعصر

كتفى الفتى من الحنف لسمعه من إعاقتي :

- « اتركوا هذا البئس بالله عليكم ! ألا ترون

ما وصل الحال بكم ؟ ألا تفهمون ما صرتم إليه ؟ »

هنا أنشب الفتى أنيابه في ذراعها . لم تكن

لدغة وانتهى الأمر كما كنت أتوقع ، بل ظل

يعتصر الذراع بين فكيه ، ويمضغ أكثر فأكثر كأنه

يحاول إفراغ أكبر قدر من السم .

بالتطبع لم أفهم هذا وقتها - ومن لديه دقة

الملاحظة في ظروف كهذه ؟ - لكنني فيما بعد عرفت

السبب .. بعض الأفاعي لها نابان أماميان كانيابنا

نحن البشر . وهذه الأفاعي هي الأكثر رقيماً

وتطورا .. إنها تندغ لدغة واحدة ثم تبتعد لتتظر

موت فريستها البطيء أو السريع . البعض الآخر

له أنياب خفية لهذا يضطر إلى التمسك بتفريسة
أطول فترة ممكنة ، ومن هدد لحيات حبة
(البومسلاج) . هذا القى كن (بومسلاج) ولكن
يؤدى عمله جيداً ..

بتطعم كنت قد كتبت عن سعة الناس . ولم
أعتبر ما قامت به الزوجة إلا مرة أخرى من
مزامرات الأفاعى . لهذا - وفدت محلى ظهورها
اتوقت انكافى - استغلت فرصة هذه الفوضى .
وجريت خارجاً من الباب ، ووقت ذلك

للمرة الاولى فى حالى اسبق مرأى لحارة
إلى هذا الحد ..

واختفيت طيلة الليل والنهار فى شوارع
القاهرة المزدهمة ..

كان تقديرى للامور هو ان حداً من يدعى

الشرطة . الآن وقد تحول المنزل إلى جحر ثعابين
لم يعد احد راغباً فى اقحام الشرطة فى الموضوع
ثم إن الثعابين تسهم بعضها على كل حال ، ولن
تحدث جثة العجوز فارقاً كبيراً .. للمشكلة هي
مكان ومصير بنت الوغد المدعو (حسام) .

كان تقديرى للأمر كذلك ان الزوجة - غثابا -
لم تتأثر بلثغة بعد ، ومعنى هذا ان لثغة عشت
وهى ترى زوجها وأولادها يتحولون إلى مسوخ .
هذا وضع أعدته وحاولت ان تتقلم معه ، لكنها
لم تتحمل ان ترى افراد الثعابين هى . ومحاولتهم
للتهامى فلو كان حدسى صحيح اعتمدت ان
ميتة . وليس بوسعى عمل شيء لإبقائها ..

وعندما جاء المساء كنت قد اتخذت قرارى .
قراراً قاسياً بارداً بارداً لكن تنفيذي سيتم بتقديرى .
لم يعد لدى خير اتجهت إلى بعض تجار الآلات
المستعملة ، وبعت ثلاثة جركن ، ثم عرجت إلى

محطة بنزين قريبة وملات اثنين بالشرين ومن
أحد التيقنين ملات واحدا بالكيروسين

مشيت بحملى الثقيل وذراع واحدة سنيمة عبر
شوارع تضاحية ، عالما أن نهمة كل شيء هي
سؤال متشكك من مخبر عن هذا الذى أحمله
لكنى لم أخش شيئا ، وشكل ما أركت أنى سأعجز
مهمتى بسلام .. لن يعترضنى حد .. إننى أنقذ
المدينة ، ولموف يكون التوفيق حقيقى .

اتجهت إلى المنزل المشنوم . وبثقة صعدت
إلى السطح وبدأت عملى ..

كان باب غرفة المجلس ياه - كاهن (واجيت)
لو لم يكن أحننا مخبولا - مغلقا . لكنى لم أجرو على
طرقه . وبدأت أصكب الكيروسين مبيت بالسطح ،
وغمرت الجلود المنتشرة هناك بقدر لابس به . ثم
بدأت قزل الدرج مواصل مهمتى الكريهة . كان الظلام
قد بدأ يخيم لكنى كنت قد ر على زنة ما ألقاه ..



وعمرت اخلود المتناثرة هناك بقدر لابس به ..
سواء كان يدرج مواصل مهمتى الكريهة

أخيرا وصلت الى مدخل البنية وهو الجزء
الأخطر من العملية ، فسكنت م تقي من البنزين
هنا وهناك . ثم تراجعت بنوء و حدث شهيق
عميقا . أخرجت عود ثقاب واستعددت لأحكه
بالقنبه . حين

حين نوى للصوت الجهورى :

« لا تتحرك يا فتى !! »

« عسى أن يقبض فعون على فعون ،
عندما يحد فرس النهر الصغير نفسه مفروسا فى
الأرض الطينية أيتها الأرض ستعفى ذاتية
ماخرج منك ! »

تعويذة مصرية قديمة لا بد أن حضر فعلى اسيا)

لم يكن عسيرا أن أعرف أن أصحاب هذه الأجساد
الضخمة والكروث العملاقة والنظرات البوليسية
اتصارمة هم مخبرو شرطة .. الجنياب من فوقه
المعطف الصوفى الثقيل والكوفية ولو كنا فى
أغسطس ..

كان أحدهم - ذو الجنياب - يمسكنى من قذالى ..
بينما آخران بثياب عادية يحيطان بى ، واحدهما
ينتزع الثقاب من يدى .. ويقول باتصار :

« أنت متلبس ! »

ثم ألقى بالثقاب على الأرض وداسه بحداته
للحكومى الغليظ ، ومن مكان ما برز ضابط شاب
متحمس أهدى استحقاقه لأداء (بسطويسى) - وكل
المخبرين اسمهم (بسطويسى) - ومن مكان آخر
برزت سيارة البوكس متأهبة لنقل ذلك المجرم
الخطير إلى القسم ..

وقال الضابط :

- « منذ اختفائك بعد قتل العحوز ونحن نراقب المكان بعناية .. كما نعرف ب ستعود . »

ولكن أين المحاسب ؟ أين هو ؟

كان زحام يحشد حولنا سكان كثيرون
صحبوا من نومهم ووقفوا يراقبون المشهد في
استمتاع . ونظرت حولي لأجد ارجل - كما
توقعت - واقفا وهو يعرض اسمه في توتر . وقد
بدا عليه الإعجاب سقطة شرطة اقلت له دون
تعبير معين في صوتي :

- « أنت ابلغتهم .. ! »

قل بصوت تمثيلي لا يشير تربية . عال كى
بسمعه الجميع :

- « لم توقع أن تقتل العحوز حسبك ملاحا .
إلا أن طالبة جامعية تدعى (هيم) رأتك تغادر
الشقة مذعورا ثم تحفى طينة النهار .. إن

قاعدة عودة المجرم لمكان الجريمة لا تخيب ..
والآن عدت لتحرقنا جميعا ! ولا أدرى سبب هذا »
ثم ارتجفت يداه في مينودرامية وتحشرج صوته :
- « ألم تكفك كل هذه الدماء حتى تتوى حرق
الاهرياء ؟ »

ومد يده بلعافة تبغ لأحد المخبرين على سبيل
التودد والسماح له بالاندنو منى أكثر ، وهمس في
أذنى :

- « أنت أحمق . وليكونن تفسير الأمر عسيرا
بعض الشيء .. يمكنك أن تحكى لرجل النيابة كل
شيء عن الثعابين . وعن العحوز اتى تحوئت
إلى بوا عاصرة . وعن كاهن (واجيت) الذى
يعمل محاسبا .. هيا لا تخجل ! إنه السبيل الوحيد
كى لا يعدموك شنقا .. إن مصحة الأمراض
العقنية أهون من الإعدام على كل حال ! »

ثم أرتفأ وهو يتعد :

- « لم يتغير شيء - سواصل ما بدأت !! وغداً سيكون مجتمع من الثعابين ، ودموس أنا دهنه الأعظم ! »

نظرت إليه وهو سعد وقلت لنفسى إنه محقق فيما قال .. أنا أحمق وعلى أن أتمسك بقصتى العجيبة لأنها مهترى الوحيد من تهمة لقتل العمد .. ثم من يدري ؟ ربما أنا مجنون حقاً . ما من مجنون يعرف أنه كذلك فى الريح

وفى اللحظة التالية كنت ادفع دفعا إلى (البوكس) . بيما ادشد سكر المنطقه يرمقوننى فى استمتاع وشيء من الرهسة ، وسمعت من يهمس لجلره :

- « طائب فشن فى العجور ليمرقها !! »
لم أله لحظة فلا يوجد سوى ما يقال ..

لقد وقعت فى شرك محكم .. شرك من النوع الذى يفهمه الفأر على الفور ، حين يترك نفسه لمخالب لقط تعابته . إنه أحكم من أن يضيع وقته ثمين ووقتها فى محاولات فرار لا تجدى .

* * *

وكانت هذه قصتى ..

وبالتطبع لم يحد رجال الشرطة ما يريب فى البناية كلها . لا ثعابين فى الشقق ، ولا أناس يتحولون إلى ثعابين . لقد اختفى كل ما من شأنه أن يجعل قصتى ذات مصداقية ما ..

لا داعى لأن أذكر عن النظرات الحائرة الساحرة قابلاً التى قائل بها الجميع قصتى عن كاهن (واجيت) . وحتى المحامى الذى اتدبه أبى بعد ما باع الجاموس ، قتل لى فى عصبية وهو يللمم أوراقه :

- « تنأ ! اسمع يا بنى أنا لا أستطيع مد يد
العون لك ما لم تقر كلاماً معقولاً .. قل إنك قتلت
العجوز أو إنك لم تقتلها وفى الحالتين سأحاول
مساعدتك .. المهم ألا تحدثنى عن الثعابين مرة
أخرى .. »

- « لكن هذا هو ما حدث يا سيد (عونى) .. »

- « وأنا لا أصدق حرفاً من هذا والمحكمة
نفسها لن تتركنى أقول هذا الهراء .. »

قربت رأسى من وجهه وقت همساً :

- « ثمة ورقة واحدة ستلعب بها .. ستزعم
للمحكمة أننى مجنون .. »

قال فى تهكم لم أفهمه وقتئذ

- « حقاً ؟ لن يكون إقناعهم بهذا عسيراً على
كل حال .. فأنت تجيد التظاهر بهذا ! »

- « بك مستحاول .. أليس كذلك ؟ إننى أكره
المشقة يا استلا (عونى) .. أكرهها خاصة وأنا
لم أبلغ العشرين من عمرى بعد .. »
أخذ شهيقاً عميقاً ونظر لى فى كراهية . ثم
حمل أوراقه واتصرف ..

وانتدبوا طبيباً نفسياً فحصنى . ثم أعلن أننى
مجنون خطر .. والبقية تعلمونها جميعاً .. أنا لم
أعدم فأين أنا إذن ؟؟؟ طبفاً أنا أكتب هذه
السطور كجزء من العلاج ..

هل أنا مجنون ؟ بالطبع لا .. أنا وأنتم فقط
نعرف أن ما حدث صحيح ..

فى مكان ما فى نهاية ما . يوجد أشخاص
يتحولون ببطء إلى ثعابين .. وهذا وباء سيعم
المجتمع بعد قليل .. ربما بعد أعوام .. ربما بعد
أشهر .. ربما تم بالفعل ..

منى سيلاحظ الناس حقيقة هؤلاء المتحولين " لا أدرى .. وربما لن يلاحظوا .. لأن المتحولين لن يصيروا أفاعى عندما سيبتلون يحتفظون بنمسة بشرية خادعة فقط سيعرف الناس الحقيقة بعد فوات الأوان ونحن نحول اقرب اقربائهم إلى ثعابين ..

راقبو الانتماعى ! لاحظوا أية ربة غير مبررة فى عددها . لاحظوا أية سواح عر منوفة منها . لاحظوا الأشخاص الذين لا يحسنون لهم . والذين يحبون النصف أكثر من السلام

إن الثكالبوس هناك ستخرج لا يغم الا الله متى ينتهى ، ولا متى يتم القصد عليه ولا كيف .. فقط اقرعوا كل شيء عن ستمس كما فعلت الان . أعدوا أمصالك المضادة بسمة الازعاج وانتظروا

إن اسمى (محمود شوقى) ولا أتوقع بالتاكيد أن يشير هذا الاسم رعبكم ، أو يجعلكم ترتجفون هية وتوقيرا ، أو تتركبون أكفكم فى شغف .. فى الواقع لن يسمع أحد عن هذا الاسم شيئا بعد اليوم !!

خاتمة

وبعد .. كانت هذه نهاية صديقتنا المتحمس (محمود شوقي) .. بالطبع لا أستطيع أن أضيف حرفاً .. فالقصة كلها حكايها لي في ساعة صفاء ، قابلته فيها في مصحة عقلية ، وبالتحديد في أثناء مباراة ترفيهية أقامها النزلاء هناك .. كنت أقوم بزيارة لصديقي القديم د. (محمد إبراهيم) أستاذ الأمراض النفسية ، وقد جلسنا أنا وهو نرسم المرضى يلعبون الكرة باعتبارها من الطرق العلاجية الصحيحة .. كان تصوري لهذه المستشفيات هو زنازين مبطنة يجول بينها ممرضون أقوياء شرسون ، وحمامات ماء مثلج

وصدمات كهربية .. إلخ .. وقد دعاني صديقي لأرى أن الأمور لم تعد بهذا السوء .. أشار إلى أحدهم - وكان شاباً في العشرين من عمره - وقال :

- « هذا الفتى كان طالباً يبشر بالخير ثم .. »
- « .. ثم لم يعد يبشر به .. هذه الأشياء تحدث .. »

أردف وهو يرقب المباراة :

- « ثمة نماذج عديدة هنا يجد المرء نفسه حائراً في تصنيفها .. كل الاختبارات النفسية تؤكد رجاحة عقله ، لكن ما يقوله يدل على حالة بارانويا متقدمة .. »

سألته في غباء من لا يفقه شيئاً في الطب النفسي :

- « وهل يوجد احتمال أن ما يقوله
صحيح ؟ »

مط شفته السفلى بمعنى أن هذا عسير ، ثم
قال ضاحكاً :

- « صعب .. صعب جداً .. إلنا نعرف المرض
للنفس حين نراه .. »

- « وما هو الحل لو كان الصائق الوحيد في
المستشفى هو بالصدفة هذا الشخص ؟ »

- « يمكنك أن تتكلم معه وتكون رأياً .. »

فلما رأى تردي قال لي :

- « لا تخف .. لا تتصرف كالجهلة .. إنه
مسالم جداً ولن يمزق حنجرتك بأنيابه لو كنت
تفكر في هذا .. كل ما يفعله هنا هو أنه يطالع

الكثير جداً من كتب الأحياء ، وبالذات التي تتكلم
عن الثعابين ! »

- « ثعابين ؟ »

- « .. ويبحث عن طريقة للتحول إلى حيوان
ماتجوس !! »

- « ماتجوس ؟ »

- « قلت لك لا تقلق .. هذه ضلالات غير
عدوانية .. »

- « مستقول هذا إلى أن تجد نصل المدية على
عنقي ، والفتى يأمركم بفتح باب المصحة له وإلا
نبحني .. »

- « لا شيء يغريني بفتح باب المصحة مهما
كانت التوضيحات ! »

وابتسم ونادى النزيل ، فجلسنا جلسة طويلة
طويلة .. وفيما بعد جعلت الفتى يكتب قصته
بالتفصيل ، وهى الأوراق التى قرأتوها الآن ..
ولقد سألتني د. (محمد) عن رأيي بعد سماع
القصة ، فسألته بدوري :

- « لماذا لا يتطوع أحد بزيارة العنوان المذكور
ليرى ما حل بهؤلاء القوم ؟ »

- « لأننا لا نصدق المجانين .. هذا كل
شيء .. »

- « قلت إن هذا الفتى لا يتصرف كالمجانين .. »
- « لكنه يقول ما يقولون .. لهذا يعالج كما
يعالجون » .

وبعد صمت قليل سألتني :

- « ما زلت لا أعرف رأيك .. »

فى ثقة قلت :

- « لا أدري .. هذه هى الإجابة المحترمة
والمناسبة والوحيدة - ربما - التى يمكن بها الرد على
أسئلة من طراز مثلث برمودا وقارة (ليموريا)
وأسرار التحنيط .. »

نعم أنا لا أدري ، ولست واثقا من شيء ..

لا أدري ، ولست مؤهلا للحكم على
الحقيقة ..

يمكنكم أن تقرأوا القصة من جديد وتخبرونى
برأيكم .

فى القصة للقادمة أعود لعالمى المعتاد ، وألقى

طفلاً من نوع خاص .. طفلاً سيقدر له أن يغير
مجرى حياتي .. تلك المجرى الذى يتغير أكثر من
اللائم هذه الأيام ..

ولكن هذه قصة أخرى ..

د. (رفعت إسماعيل)

القاهرة

تمت بحمد الله